

T
211A

الجامعة الأميركية في بيروت

التقدير النحوي عند سيبويه

سعد حسن ضاروب

بيروت، لبنان

شباط ١٩٩٦

الجامعة الأميركية في بيروت

التقدير النحوي عند سيبويه

سعد حسن ضاروب

بيروت، لبنان

شباط ١٩٩٦

الجامعة الأميركية في بيروت

قضايا التقدير النحوي عند سيبويه

سعد حسن ضاروب

رسالة

مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة استاذ في الآداب
(الماجستير)

الى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى
في الجامعة الأميركية في بيروت

بيروت، لبنان

شباط ١٩٩٦

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

ASPECTS OF GRAMMATICAL TAQDIR IN SIBAWAYHI

by

SAAD HASSAN DAROUB

A thesis submitted
in partial fulfilment of the requirements
for the degree of Masters of Arts
in the Department of Arabic
and Near Eastern Languages
of the Faculty of Arts and Sciences
at the American University of Beirut

Beirut, Lebanon

February 1996

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

ASPECTS OF GRAMMATICAL TAQDIR IN SIBAWAYHI

I, Saad Hassan Daroub authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals on request.

S. Daroub
Signature

1/31/1996
Date

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

ASPECTS OF GRAMMATICAL TAQDIR IN SIBAWAYHI

by
Saad Hassan Daroub

Approved by :

Professor Ramzi Baalbaki

R. Baalbaki
Advisor

Professor Tarif Bazzi

Tarif Bazzi
Member of Committee

Professor Abdul Fattah al-Zein

[Signature]
Member of Committee

Date of Thesis Presentation : February 23 rd. ,1996.

المقدمة

رغم أن تعبير "التقدير" لم يرد في كتاب سيبويه إلا أن تعابير أخرى وردت تدل على هذا المصطلح، ومنها: الإضمار والحذف والتمثيل. ولعل مصطلح "التقدير" يشمل كل هذه المصطلحات بدلالة وروده كثيراً عند النحويين المتأخرين. وفي كل الاحوال فالتقدير يعالج قضايا في الجملة العربية فيحللها ويبين أصلها، ولو كان نظرياً، لأنه يحاول أن يوضح ما غمض من أسرارها إن من ناحية التركيب أو المعنى.

وقد اخترت معالجة هذا الموضوع عند سيبويه لأن كتابه أول كتاب معروف لدينا في النحو، ولأنه أخذ، كما يبدو في الكتاب، بآراء من سبقه من النحويين وخاصة الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولأنه في الكتاب جامع (ما أمكن الجمع) ولا يعرض مجرد شذرات، بل يحاول أن يبني نظرية نحوية جعل في أسسها العامل والتقدير (وإن لم يرد هذا التعبير بذاته كما أسلفنا).

وقد قسّمت موضوعي إلى فصول أربعة، أولها يعرض لأنواع التقدير في الكتاب من إضمار الفعل المستعمل إظهاره وغير المستعمل إظهاره إلى إضمار الاسم بما فيه المبتدأ والخبر والمفعول به والفاعل (نادراً طبعاً) ويتوافق هذا مع الإضمار بعد بعض النواسخ لدخولها على المبتدأ والخبر، ثم انتقلت إلى إضمار الحروف.

وقبل أن أمضي في عرض باقي الفصول أودّ أن أؤكد، كما ألمحت سابقاً، إلى أن استعمال مصطلح التقدير يشمل الإضمار والحذف والتمثيل. ويؤكد سيبويه، في بعض الأحيان، أن ما يذكره من إضمار هو "تمثيل لا يتكلم به"، وفي أحيان أخرى يجيز إظهار ما أضمر.

أما الفصل الثاني فعرضت فيه للأسس النظرية الفكرية للتقدير فمررت على المنهج الوصفي ثم ذكرت المعيارية في اللغة وانتقلت بعدها إلى آراء تشومسكي ومشايخه في النحو التحويلي-التوليدي، بعد ذلك عرضت لفكرة العامل في النحو ثم لامست قضية الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وكل هذا له ارتباط بفكرة التقدير.

وجعلت الفصل الثالث لدراسة مكانة التقدير في نظرية سيبويه النحوية خاصة بعد ما عرضت له من أفكار في الفصل الثاني وحاولت أن أبرز أهمية التقدير عن سيبويه في نظريته النحوية التي أقام بعضاً منها على فكرة العامل والإسناد.

وختمت بالفصل الرابع مقارناً لبعض آراء الكوفيين والبصريين مظهراً خلافاً في المصطلح فقط أحياناً، وفي الرأي أحياناً أخرى، وابدت في الوقت عينه اتفاقاً كان يُظن اختلافاً وردّ المبرّد (البصري) لبعض روايات سيبويه وقليل من الخلاف معه.

وأرجو أن أكون قد وفّقت إلى إلقاء بصيص نور على مسألة التقدير .

المحتويات

هـ	<u>المقدمة</u>
	<u>الفصل الاول: أنواع التقدير في الكتاب</u>
١	<u>اضمار الفعل</u>
١	١- اضمار الفعل المستعمل اظهاره
٢	أ- اضماره في الامر والنهي
٢	ب- اضماره في غير الامر والنهي
٣	ج- اضماره بعد حرف
٧	د- اضماره في سياق الحديث
٧	٢- اضمار الفعل المتروك اظهاره
٧	أ- اضماره في الامر والنهي والتحذير
١٠	ب- اضماره في غير الامر والنهي
١٢	ج- اضماره في ما صار بمنزلة المثل
١٤	د- اضماره اذا دلَّ عليه دليل
١٤	هـ- اضماره في اسلوب المفاعلة
١٥	و- نصب المصادر بالفعل المتروك اظهاره
١٧	ز- الاسماء التي اخذت من الافعال او التي لم تؤخذ منها

١٨	ح- المصادر المثناة
١٩	ط- المصدر المشبه به
٢٠	ي- في الاختصاص
٢٠	ك- النصب على التعظيم والمدح والترحم
٢٣	ل- القسم
٢٣	م- الاشتغال
٢٥	<u>اضمار الاسم</u>
٢٥	١- اضمار المبتدأ
٢٥	أ- اضمار المبتدأ إذا دلّ عليه دليل
٢٦	ب- إضمار المبتدأ إذا كان الخبر مصدراً يقع موقع الفعل
٢٧	ج- إضماره في التعظيم والمدح والذم والترحم
٢٨	د- إضماره مع نعم وبئس
٢٩	هـ- لا سواء
٢٩	و- بعد بل ولكن
٣٠	ز- وجه من الوجوه
٣٠	ح- بعد إذا الفجائية
٣١	٢- اضمار الخبر
٣١	أ- إضماره إذا دلّ عليه دليل
٣٢	ب- بعد لولا
٣٣	ج- إذا كان المبتدأ مصدراً أو أفعال تفضيل

- د- بعد "واو" المعية ٣٣
- هـ- إذا تعلق بالخبر ظرف أو جارٍ ومجرور ٣٤
- في الإضمار بعد بعض النواسخ ٣٥
- ١- في "إن" وأخواتها ٣٥
- ٢- حذف اسم "لا" النافية للجنس وخبرها ٣٥
- ٣- حذف اسم "لات" أو خبرها ٣٧
- ٤- الاستغناء بخبر "إن" عن مفعولي ظنّ ٣٧
- ٥- الإضمار في بعض أدوات الاستثناء ٣٨
- ٦- حذف المستثنى استخفافاً ٣٨
- ٧- في الفاعل والمفعول به ٣٨
- أ- الفعل المبني للمجهول ٣٨
- ب- حذف الفاعل المضاف ٣٩
- ج- في التنازع ٤١
- ٨- حذف جواب الشرط ٤٢
- إضمار الحروف ٤٣
- ١- إضمار "أن" الناصبة ٤٣
- ٢- إضمار لام الامر ٤٦
- ٣- إضمار "إن" في جواب الامر ٤٧
- ٤- إضمار حروف الجرّ ٤٨
- ٥- حذف حرف النداء ٥٢

الفصل الثاني: الأسس النظرية لفكرة التقدير

المنهج الوصفي:

٥٤

عرض مختصر لآراء الوصفيين الغربيين:

٥٤

دوسوسير

٥٤

سابير

٥٥

بلومفيلد

٥٦

عرض رأي تمام حسان من الوصفيين العرب ومناقشته

٥٨

المعيارية في اللغة:

٦٢

تعريفها

٦٢

رأي بعض الباحثين الغربيين فيها

٦٢

رأي تمام حسان

٦٣

رأي مهدي المخزومي

٦٤

النحو التحويلي - التوليدي:

٦٥

عرض نظرية تشومسكي في النحو التحويلي - التوليدي

٦٥

- البنية العميقة والبنية السطحية

٦٦

- الكفاية والأداء

٦٧

- المكونات

٦٩

- ربط آراء تشومسكي باللغة العربية

٧٠

- آراء أحمد حاطوم في الإعراب

٧٠

- قواعد النحو التحويلي

٧٢

٧٣ - رأي عبده الراجحي

٧٤ في العامل:

٧٥ - العامل لفظي ومعنوي

٧٥ - رفض ابن مضاء لنظرية العامل

٧٦ - رد مهدي المخزومي ورأيه

٧٨ - آراء الدكتور تمام حسان

٧٩ - رد الدكتور محمود سليمان ياقوت

٨١ في الجملة الفعلية والجملة الاسمية

٨٢ - رأي مهدي المخزومي

٨٣ - ترجيحنا لرأي النحاة القدامى

الفصل الثالث: مكانه التقدير في نظرية سيبويه النحوية

٨٤ - القضايا التي اهتم سيبويه بإيرازها

٨٦ أولاً: مراعاة التقدير لسياق الحال

٨٧ ثانياً: اعتماده على فهم المخاطب

٨٨ ثالثاً: تفسير التقدير لظواهر إعرابية

٩١ رابعاً: تدخّل سيبويه في تفسير الجمل

٩٣ خامساً: شرط عدم نقض المعنى

٩٤ سادساً: تقدم بعض الحروف على غيرها في التقدير

٩٥ سابعاً: إقرار سيبويه بإسقاط أجزاء من الكلام

٩٦ ثامناً: إقامته التقدير على مبدأ الإسناد

الفصل الرابع: المقارنة بأراء الكوفيين

- عرض عام لبعض قضايا التقدير بين الكوفيين والبصريين خاصة المتقدمين منهم ١٠٠

الفصل الأول

أنواع التقدير في الكتاب

في إضمار الفعل

يضمّر الفعل أو يقدر، عند سيبويه، لأسباب متعددة منها: مراعاة سياق الحال، والاعتماد على فهم المخاطب الذي هو شريك في العملية اللغوية، ومنها أنه يفسر ظواهر إعرابية كالنصب والجر، ضمن نظرية العامل والمعمول. ويمثل إضمار الفعل، في بعض الأحيان، تدخلاً من سيبويه في تفسير الجمل من منظوره هو وانطلاقاً من عدم اكتفائه بالوصف؛ ويجعل له شروطاً منها مثلاً: ألا ينقض التقدير المعنى.

واضمار الفعل عنده ينقسم إلى قسمين رئيسيين: الأول: إضمار الفعل المستعمل إظهاره، أي اختيار إضمار الفعل (مع امكانية إظهاره) وذلك لأسباب ذكرنا منها مراعاة سياق الحال والاعتماد على فهم المخاطب الخ. والقسم الثاني: هو إضمار الفعل المتروك إظهاره، أي أن الفعل (المفسر والعامل، الخ.) مقدرٌ تقديراً عقلياً، وقد يمثل به سيبويه ليوضح مراده، لكنه يشدد على كون ذلك تمثيلاً لا يتكلم به.

١- إضمار الفعل المستعمل إظهاره

يقول سيبويه في إضمار الفعل: "إن الفعل يجري في الأسماء على ثلاثة مجاز: فعلٌ مظهرٌ لا يحسن إضماره، وفعلٌ مضمرٌ مستعملٌ إظهاره، وفعلٌ مضمرٌ متروكٌ إظهاره"^(١). وتأخذ المجريين الآخرين، أي الفعل المضمر المستعمل إظهاره والفعل المضمر المتروك إظهاره لتجد أن سيبويه قد عقد ابواباً يفصل فيها سير كل مجرى.

(١) الكتاب، ج ١، ص ٢٩٦.

أ- إضماره في الأمر والنهي

ففي ما خصَّ الفعل المضمر المستعمل إظهاره يوضع عدة ابواب منها "باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا عَلِمْتَ أَنَّ الرجل مستغنٍ عن لفظك بالفعل"، ويمثّل له بأن "ذلك قولك: زيداً، وعمراً، ورأسه. وذلك أنك رأيت رجلاً يضرب أو يشتم أو يقتل، فاكتفيت بما هو فيه من عمله ان تَلَفَّظَ له بعمله فقلت: زيداً، أي أوقع عملك بزيد"^(١). فهذا في الأمر. "وأما النهي فإنه التحذير، كقولك: الأسدَ الأسدَ... وإنما نهيته أن... يقرب الأسد"^(٢). وهذه الأفعال المضمرّة يمكن إظهارها. فيمكن ان نقول: اضرب زيداً ولا تقرب الأسد^(٣). ويقول في مثّل من امثال العرب "اللهم ضيماً وذنباً"، إنك "إذا سألتهم ما يعنون قالوا: اللهم اجمع" أو اجعل فيها ضيماً وذنباً"^(٤). ويضيف "وأما سهلٌ تفسيره عندهم لأنّ المضمر قد استعمل في هذا الموضع عندهم بإظهار"^(٥).

ويفسر قول الشاعر:

كساع الى الهيجا بغير سلاح

أخاك أخاك إن من لا أخا له

فيقول: "كانه يريد: الزم أخاك"^(٦).

ب - إضماره في غير الأمر والنهي

ثم يعقد سيبويه باباً لما يُضمر به الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي^(٧) ويمثّل عليه بأنك "إذا رأيت رجلاً متوجّهاً وجهة الحاج، قاصداً في هيئة الحاج، فقلت: مكّة وربّ الكعبة..."

(١) نفسه، ص ٢٥٣.

(٢) نفسه، ص ٢٥٣.

(٣) نفسه، ص ٢٥٤.

(٤) نفسه، ص ٢٥٥.

(٥) نفسه، ص ٢٥٥.

(٦) نفسه، ص ٢٥٦.

(٧) نفسه، ص ٢٥٧.

كأنك قلت: يريد مكة والله^(١). ويعطي مثلاً من كتاب الله العزيز: "بل ملة إبراهيم حنيفاً" (سورة البقرة، الآية ١٣٥) ويقدر أن الفعل المضمر هو تتبع، كأنه قيل لهم: أتبعوا، حين قيل لهم: كونوا هوداً أو نصارى". والملاحظ هنا ربط سيبويه التقدير بسياق الحال، كالرجل المتوجّه الى الحج، وما سبق الآية "بل ملة..." من قوله عز وجل: "كونوا هوداً أو نصارى" ليأتي بتقدير فعل أتبعوا وبل تتبع. ويوضح سيبويه أن إضمار الفعل مع ارادة الأمر يكون مع المخاطب لا مع الغائب لأنك في حال ما تستطيع ان تقول: زيداً وانت تعني اضرب زيداً، أما مع الغائب فكأنك تقول: قل له ليضرب زيداً "فضعف عندهم مع ما يدخل من اللبس في امرٍ واحدٍ ان يُضمرَ فيه فعلاً لشينين"^(١٠)، وهذا ما يؤكد أهمية سياق الحال ودور المخاطب عنده.

ج - إضماره بعد حرف

ويتابع سيبويه فيعقد باباً لما يُضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف. ومن هذه الحروف إن المجازاة وهلاً وألاً ولو. يقول: "واعلم انه لا ينتصب شيء بعد إن ولا يرتفع الأ بفعل، لأن إن من الحروف التي يُبنى عليها الفعل، وهي إن المجازاة، وليست من الحروف التي يُبتدأ بعدها الأسماء لِيُنَى عليها الأسماء"^(١١). فهذا الحرف من الحروف المختصة بالأفعال وإن وليها اسم فعلى تقدير فعل. ويمثل على ذلك بأمثلة منها: "الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ، والمرء مقتول بما قتل به إن خنجراً فخنجرٌ وإن سيفاً فسيفاً". ويوضح انه يقدر "كان" حيث يقول: "وإن شئت أظهرت الفعل قلت: إن كان خنجراً فخنجرٌ، الخ"^(١٢).

(١) نفسه، ص ٢٥٧.

(١٠) نفسه، ص ٢٥٨.

(١١) نفسه، ص ٢٦٣.

(١٢) نفسه، ص ٢٥٨.

ومع أن إضممار الرفع، كإضممار الناصب، عربيٌ حسنٌ فإن تُضمير الناصب أحسن، "لأنك إذا اضممرت الرفع اضممرت له ايضاً خبراً، او شيئاً يكون في موضع خبره. فكلمة كثر الاضممار كان اضعف"^(١٣). فقولك: ان خيرٌ فخيرٌ، فكأنك قلت: ان كان في اعمالهم خيرٌ فالذي يُجزون به خيرٌ. ويجوز: ان كان خيرٌ على: ان وقع خيرٌ. وينشد بيتاً زعم يونس ان العرب تتشده بالرفع وهو لهديبة (بن خشرم):

فإن تك في اموالنا لا نصيقُ بها ذراعاً، وإن صبرٌ فنصبرُ للصبرِ

ويرى ان الرفع على: ان وقع صبرٌ ويرى ان النصب فيه جيد بالغ "على التفسير الأول"^(١٤)، أي على: ان كان (الأمر) صبراً. وهو على هذا يجعل النصب في قول نعمان بن المنذر:

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك من شيء اذا قيلاً

ويجيز الرفع على: ان وقع حقٌ وإن وقع كذبٌ. اما في مثل: قد مررتُ برجلٍ إن طويلاً وإن قصيراً، فلا يكون في هذا الا النصب لأنك لا تستطيع ان تقول: ان كان فيه طويلاً وكذلك لا يجوز على ان وقع. وعلى هذا قول ليلي الأخيلية:

لا تقرِّبن الدهر آلَ مطرّفٍ إن ظالماً ابداً وإن مظلوماً

ويقبّح سيبويه اضممار اكثر من فعل ويضعفه، فبعد ان يذكر اضممار "كان" في: مررتُ برجلٍ صالحٍ وإن لا صالحاً فطالِحٌ (أي إن لم يكن صالحاً)، يورد زعم يونس بأن من العرب من يقول ان لا صالح فطالِح، على: ان لا اكن مررتُ بصالحٍ فبطالِح، فيقول: "وهذا قبيحٌ ضعيف، لأنك تُضمّر بعد "ان لا" فعلاً آخر غير الذي تُضمّر بعد "ان لا" في قولك: ان لا يكن صالحاً فطالِح"^(١٥). أي إضممار "مررتُ بـ" بعد "ان لا اكن". ويضيف سيبأ آخر هو انه لا يجوز اضممار الجار، ولكنه يبرّر قولهم: ان

^(١٣) نفسه، ص ٢٥٩.

^(١٤) نفسه، ص ٢٦٠.

^(١٥) نفسه، ص ٢٦٢-٢٦٣.

لا صالح فطالِحِ بأنهم "لَمَّا ذكروه في اول كلامهم شبهوه بغيره (من الفعل)"^(١٦) أي عندما قالوا :
مررتُ برجلٍ صالحٍ، في اول الكلام استمروا عليه. وهو يجعل اضمار رُبِّ اقوى في قولهم:

ويلدّة ليس بها أنيس^(١٧)

ويمثّل على اضمار الفعل المستعمل إظهاره، بعد هلاً وآلاً بقوله: "هلاً خيراً من ذلك، والآ
خيراً من ذلك. كأنك قلت: الآ تفعل خيراً من ذلك، وهلاً تأتي خيراً من ذلك"^(١٨). ويجيز سيبويه الرفع
هنا ايضاً على اضمار ما يرفع.

وإذا كان سيبويه قد قرّر اضمار الفعل بعد هذه الحروف (إن، هلاً، آلاً) فلأنه يعدّها من
الحروف التي لا تقدّم فيها الأسماء الفعل، فهو بعد ان يعدّد حروف النصب والجزم ضمن هذا
الباب^(١٩) يذكر "إن" وهي "اصل الجزاء ولا تفارقه" ويقول: "واعلم ان حروف الجزاء يقبح ان تتقدم
الأسماء فيها قبل الأفعال، وذلك لأنهم شبهوها بما يجزم مما ذكرنا، الآ ان حروف الجزاء قد جاز ذلك
فيها في الشعر لأن حروف الجزاء يدخلها فعلٌ ويقَعْلُ (أي يليها الماضي والمضارع، بينما حروف
الجزم لا يليها سوى المضارع)، ويكون فيها الاستفهام فترفع فيها الأسماء..."^(٢٠). لذا جاز اضمار
الفعل فيها ان وليها اسم، يقول سيبويه: "واعلم ان قولهم في الشعر: إن زيدا يأتك كذا، انما ارتفع
على فعلٍ هذا تفسيره"^(٢١).

ويضيف سيبويه الى الحروف التي لا يليها إلا الفعل (ولكنها لا تنصب ولا تجزم): هلاً ولولا
والآ. وفي موضع آخر يذكر "لو" فيقول: "ولو بمنزلة "إن"، لا يكون بعدها الا الأفعال، فان سقط
بعدها اسم ففيه فعل مضمّر في هذا الموضع تُبنى عليه الأسماء. فلو قلت: الا ماءً ولو بارداً، لم

^(١٦) نفسه، ص ٢٦٣.

^(١٧) نفسه، ص ٢٦٣.

^(١٨) نفسه، ص ٢٦٨.

^(١٩) الكتاب، ج ٣، ص ١١٠.

^(٢٠) نفسه، ص ١١٢.

^(٢١) نفسه، ص ١١٣ - ١١٤.

يحسن الا النصب، لأن بارداً صفة^(٢٢). ويوضح الفعل المضمر المستعمل اظهاره بعد "لو" بالمثل، فـ"قولك: الا طعامَ ولو تمرأ، كأنك قلت: ولو كان تمرأ، وأتت بدابة ولو حمارأ"^(٢٣). ويجيز الرفع في : الا طعامَ ولو تمرأ على: ولو يكون عندنا تمرأ، ويجيز الجر في: ولو حمار، اذ يكون بمنزلة في "إن" (إن مررت بطالح). ولأن "أحسن ما يضمر منه احسنه في الاظهار"^(٢٤) فهو يقبَح "ولو حمار" على الرفع لأن التقدير فيه يطول "كأنه يقول: ولو يكون مما يأتيني به حمار"^(٢٥). وعلى هذا قول العرب: "ادفع الشرَّ ولو اصبعأ، كأنه قال: ولو دفعته اصبعأ، ولو كان اصبعأ. ولا يحسن ان تحمله على ما يرفع؛ لأنك ان لم تحمله على اضمار "يكون" ففعل المخاطب المذكور اولى واقرب"^(٢٦). يعني انه اما ان نقدر فعل "يكون" او فعلاً كالمذكور يخاطب به.

في موضوع "اذا" الشرطية يقول سيبويه: "ومما يقبَح بعده ابتداء الأسماء ويكون الاسم بعده اذا وقعت الفعل على شيء من سببه نصباً في القياس: اذا وحيث. تقول: اذا عبد الله تلقاه فأكرمه، وحيث زيدا تجده فأكرمه؛ لأنهما يكونان في معنى حروف المجازاة. (الكتاب، ج ١، ص ١٠٦ - ١٠٧). لكنه يقول في موضع آخر منشداً بيت ذي الرمة:

اذا ابنُ أبي موسى بلالٌ بلغتهِ فقام بفأسٍ بينَ وصليكَ جازرُ

فالنصب عربي كثير والرفع اجود" (الكتاب، ج ١، ص ٨٦). ويعلق هارون بناءً على قول الأعم الشنتمري: "يعني على الابتداء لا على اعمال فعل مفسر، كأن مذهبه جواز الرفع والنصب بعد اذا، وان كان فيها معنى الشرط، لأنها غير عاملة، فيكتفى بما في جملة الابتداء من ذكر الفعل، فيستغنى بذلك عن ان يليها الفعل. وهذا احد توجيهين للشنتمري".

(٢٢) الكتاب، ج ١، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٢٣) نفسه، ص ٢٦٩.

(٢٤) نفسه، ص ٢٦٩.

(٢٥) نفسه، ص ٢٦٩.

(٢٦) نفسه، ص ٢٧٠.

د- اضماره في سياق الحديث

ويضمّر الفعل المستعمل اظهاره في سياق الحديث والرد والجواب او على تقدير الحال او اكتفاءً بأن المخاطب يعلم ما كان فيبني عليه.

ويمثّل سيبويه على هذا كأن ترى الرجل قد قدم من سفرٍ فتقول: خيرٌ مقدم. او يقول الرجل: رأيت فيما يرى النائم كذا وكذا، فتقول: خيراً وما سرّ، وخيراً لنا وشرّاً لعدونا. وان شئت قلت: خيرٌ مقدم، وخيراً لنا وشرّاً لعدونا. اما النصب فكأنه بناه على (قوله): قدمت (فقال: قدمت) خيرٌ مقدم، (وان لم يُسمع منه هذا اللفظ، فان قدومه ورؤيته اياه بمنزلة قوله: قدمت... فاذا نصب فعلى الفعل). واما الرفع فعلى انه مبتدأ او مبني على مبتدأ^(٢٧). ومثّل ذلك في سياق الحديث قول العرب: حدّث فلانٌ بكذا وكذا، فتقول: صادقاً (والله). او انشدك شعراً فتقول: صادقاً والله، أي قاله صادقاً^(٢٨). وقد يُترك ذكر الفعل لما يُرى من الحال، كأن ترى رجلاً تعرّض لأمرٍ فتقول: متعرّضاً لعننٍ لم يعنيه، "أي دنا من هذا الأمر متعرّضاً لعننٍ لم يعنه"^(٢٩). ومثله:

مواعيد عرقوبٍ أخاه بيئرب

كأنه قال واعدتني مواعيد عرقوب، ولكنه ترك الفعل اكتفاءً بعلم من يعني بما كان بينهما قبل ذلك.

٢- اضمار الفعل المتروك اظهاره

أ- اضماره في الأمر والنهي والتحذير

اما الفعل المضمر المتروك استغناءً عنه فيعقد له سيبويه أبواباً عدة يبدأها بباب "ما جرى منه على الأمر والتحذير"^(٣٠)؛ يقول: "وذلك قولك اذا كنت تحذّر: إياك. كأنك قلت: إياك نحّ، وإياك باعد،

(٢٧) نفسه.

(٢٨) نفسه، ص ٢٧١.

(٢٩) نفسه، ص ٢٧٢.

(٣٠) نفسه، ص ٢٧٣.

واياك اتقى، وما اشبه ذا. ومن ذلك (ان تقول): نفسك يا فلان، أي اتقى نفسك، الا ان هذا لا يجوز فيه اظهار ما اضمرت، ولكن ذكرته لأمثل لك ما لا يظهر إضماره. ومن ذلك أيضاً قولك: اياك والأسد، واياي والشر، كأنه قال: اياك فاتقين والأسد، وكأنه قال: اياي لاتقين والشر. فاياك متقى، والأسد والشر متقيان، (فكلاهما مفعول ومفعول معه)^(٣١).

وينص سيبويه، في الموضع نفسه، على انهم "حذفوا الفعل من اياك لكثرة استعمالهم اياه في الكلام، فصار بدلاً من الفعل،...، فكأنه قال: احذر الأسد، ولكن لا بد من الواو لأنه اسم مضموم الى آخر"^(٣٢). "ومن ذلك: امرأ ونفسه، كأنه قال: دع امرأ مع نفسه، فصارت الواو في معنى مع كما صارت في معنى مع في قولهم: ما صنعت واخاك. وان شئت لم يكن فيه ذلك المعنى، فهو عربي جيد، كأنه قال: عليك رأسك وعليك الحائط، وكأنه قال: دع امرأ ودع نفسه، فليس ينقض هذا ما اردت في معنى مع من الحديث"^(٣٣). ويتبين من كلام سيبويه انه إما ان تُضمَرَ فعلاً واحداً ينصب الاسم الأول وتتصب الثاني بواو المعية وإما ان تعدّ الواو عاطفة وتتصب بفعل ثانٍ الاسم الثاني. والمهم عنده ان لا ينقض ذلك المعنى. ويحلل سيبويه اضممار الفعل المتروك اظهاره في الأمر والتحذير بانهم "انما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنوا لكثرتها في كلامهم، واستغناء بما يرون من الحال، وبما جرى من الذكر، وصار المفعول الأول بدلاً من اللفظ بالفعل، حين صار عندهم مثل: اياك، ولم يكن مثل: اياك لو افردته، لأنه لم يكثر في كلامهم كثرة اياك، فشبهت باياك حيث طال الكلام وكان كثيراً في الكلام. فلو قلت: نفسك، أو رأسك، أو الجدار، كان اظهار الفعل جائزاً نحو قولك: اتق رأسك، واحفظ نفسك، واتق الجدار. فلما ثبت صار بمنزلة اياك، واياك بدل من اللفظ بالفعل، كما كانت المصادر كذلك، نحو: الحذر الحذر. ومما جعل بدلاً من اللفظ بالفعل قولهم: الحذر

(٣١) نفسه، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٣٢) نفسه، ص ٢٧٤.

(٣٣) نفسه، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

الْحَذَرَ، وَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ، وَضَرْباً ضَرْباً، فإِنَّمَا انْتَصَبَ (هَذَا) عَلَى الزَّمِ الْحَذَرَ، وَعَلَيْكَ النَّجَاءَ، وَلَكِنَّمْ حَذَفُوا لِأَنَّهُ صَارَ بِمَنْزِلَةِ أَفْعَلٍ. وَدَخُولَ الزَّمِ وَعَلَيْكَ عَلَى أَفْعَلٍ مَحَالٌ^(٣٤).

يَتَبَيَّنُ مِنْ كَلَامِ سَيَبُويهِ أَنَّ الْفِعْلَ يَضْمُرُ وَجُوباً مَعَ إِيَّاكَ لِكَثْرَتِهَا فِي الْكَلَامِ لِأَنَّهَا صَارَتْ بَدَلاً مِنَ الْفِعْلِ أَوْ مِنَ اللَّفْظِ بِهِ، أَمَا مَا جَاءَ عَلَى نِيَّةِ التَّحْذِيرِ وَالْأَمْرِ فِي غَيْرِ إِيَّاكَ فَإِنَّهُ جَائِزٌ فِيهِ إِظْهَارُ الْفِعْلِ مَا لَمْ يَتَّوَأْ، أَيْ مَا لَمْ يَذْكَرُوا بَعْدَهَا شَيْئاً ثَانِياً، فَإِنَّ فَعَلُوا فَالْفِعْلُ مَضْمُرٌ وَجُوباً؛ وَهُوَ يُقَارَنُ هَذَا بِنَصْبِ الْمَصَادِرِ حِينَ تُتَمَّى نَحْوُ: الْحَذَرَ الْحَذَرَ، فَلَا يَجُوزُ دَخُولُ فِعْلِ الْأَمْرِ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا صَارَتْ كَفِعْلِ الْأَمْرِ. وَلَا يَغْفَلُ سَيَبُويهِ عَنْ أَنَّ يَقْرَرُ أَنَّ حَذْفَ الْفِعْلِ يَكُونُ إِضْطِغَاءً بِمَا يَزَوِّنُ مِنَ الْحَالِ، وَبِمَا جَرَى مِنَ الذِّكْرِ، أَيْ أَنَّ الَّذِي يَحْذَرُ لَا يَجِدُ مَتَسَعاً مِنَ الْوَقْتِ لِلتَّلَفُظِ بِالْفِعْلِ فَيَسْتَعْنِي عَنْهُ وَيَضْمُرُهُ. وَيَأْتِي سَيَبُويهِ بِشَوَاهِدِهِ عَلَى وَضْعِ الْمَصَادِرِ فِي مَوْضِعِ فِعْلِ الْأَمْرِ فَيَذْكَرُ قَوْلَ عَمْرٍو بْنِ

مَعْنِيكَرِبٍ: (٣٥)

أُرِيدُ حَيَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مَرَادٍ

حَيْثُ جَعَلَ الْمَصْدَرَ "عَذِيرًا" مَنْصُوباً عَلَى تَقْدِيرِ فِعْلِ وَوَضَعَهُ مَوْضِعَهُ. وَمِثْلُهُ لِلْكَمَيْتِ:

نَعَاءٌ جُدَاماً غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلِ وَلَكِنْ فِرَاقاً لِلدُّعَائِمِ وَالْأَصْلِ

فَنَعَاءٌ فِي مَوْضِعِ الْفِعْلِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّهُ جُدَاماً. وَيَشْبَهُ بَيْتَ عَمْرٍو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ بَيْتَ ذِي

الإصْبَعِ الْعِدْوَانِي:

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدُوِّ نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ

وَيُؤَكِّدُ سَيَبُويهِ عَلَى ضَرُورَةِ ضَمِّ الْأَسْمِ الثَّانِي إِلَى الْأَوَّلِ فِي التَّحْذِيرِ بِوَسْطَةِ "مِنْ" أَوْ "الْوَاوِ"

إِلَّا إِذَا أَرَدْتَ مَعْنَى فِيهِ الْوَعْظَ وَالتَّرْغِيبَ.

(٣٤) نفسه، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٣٥) نفسه، ص ٢٧٦.

يقول سيبويه: "واعلم انه لا يجوز ان تقول اياك زيدا، كما انه لا يجوز ان تقول: رأسك الجدار، حتى تقول: من الجدار او والجدار. وكذلك ان تفعل، اذا اردت اياك والفعل. فاذا قلت: اياك ان تفعل، تريد اياك أعظُ مخافة ان تفعل، او من اجل ان تفعل جاز، لأنك لا تريد ان تضمه الى الاسم الأول: كأنك قلت، اياك نَحْ لمكان كذا وكذا. ولو قلت: اياك الأسد، تريد من الأسد، لم يَجْزُ كما جاز في أن، الا انهم زعموا ان ابن ابي اسحاق اجاز هذا البيت (في شعر):

يَاكَ اِيَّاكَ المراءَ فإنه
الى الشرِّ دَعَاءٌ وللشرِّ جالب^(٣٦)

يتضح من قول سيبويه انه يقدر فعلاً مضمراً وجوباً قبل اياك وهي لا تقوم مقام الفعل لذا لا بد من رابط بينها وبين الاسم، كما في العلاقة بين اسمين لم يكثر في كلام العرب مثل رأسك (و) الجدار، حتى مع "ان تفعل" لا بد من هذا الرابط، الا ان تقصد معنى آخر تضمير له فعلاً آخر، لأنه في تخريجه للبيت المذكور يقول: "كأنه قال: اياك، ثم اضمر بعد اياك فعلاً آخر فقال اتق المراء"^(٣٧). كأنه عدّ تكرار اياك بمثابة اضمار فعل او كأن اياك الثانية بمعنى الفعل.

ب - اضماره في غير الأمر والنهي

اما ما ينتصب على اضمار الفعل المتروك اظهاره في غير الأمر والنهي فيبدأ سيبويه ويمثّل عليه بـ "اخذته بدرهم فصاعداً، واخذته بدرهم فزائداً. ويقرر انهم "حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم اياه، ولأنهم امنوا ان يكون على الباء، لو قلت اخذته بصاعداً كان قبيحاً، لأنه صفة ولا تكون في موضع الاسم، كأنه قال: اخذته بدرهم فزاد الثمن صاعداً، او فذهب صاعداً"^(٣٨). ولا يجوز استعمال

^(٣٦) نفسه، ص ٢٧٩.

^(٣٧) نفسه، ص ٢٧٩.

^(٣٨) نفسه، ص ٢٩٠.

"الواو" هنا لنفلا تعطف وانت "لا تريد ان تخبر ان الدرهم مع صاعد ثمن لشيء، كقولك: بدرهم وزياد^(٣٩)، اما ثم فهي بمنزلة الفاء الا ان الفاء اكثر في كلامهم^(٤٠).

ويتبع هذا الباب ايضاً قولك: يا عبد الله، والنداء كله... حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم هذا في الكلام، وصار "يا" بدلاً من اللفظ بالفعل، كأنه قال: يا، أريد عبد الله، فحذف اريد وصارت "يا" بدلاً منها، لأنك اذا قلت: يا فلان، علمت انك تريده. ويؤكد انه ينتصب على الفعل المضمر وان "يا" صارت بدلاً منه فيقول: "ومما يدل على انه ينتصب على الفعل وان "يا" صارت بدلاً من اللفظ بالفعل، قول العرب: يا ايّك، اما قلت: يا ايّك اعني، ولكنهم حذفوا الفعل وصار يا وايّا واي بدلاً من اللفظ بالفعل^(٤١).

اما المنادى المفرد مثل: يا زيد فهو "رفع وهو في موضع اسم منصوب"^(٤٢)، ويقول انهم نصبوا كلمة "الطويل" في قولهم: يا زيد الطويل، لأن الكلمة صفة لمنصوب، أو هي منصوب على تقدير فعل "اعني". اما: يا زيد الطويل، فسببه اطراد الرفع في المفرد في النداء حتى "صار عندهم بمنزلة ما يرتفع بالابتداء، او بالفعل، فجعلوا وصفه اذا كان مفرداً بمنزلته"^(٤٣).

ومما انتصب على الفعل المتروك اظهاره، حين كثر في كلامهم، قولهم: من انت زيدا، زعم "يونس انه على قوله: من انت تذكر زيدا، ولكنه كثر في كلامهم واستعمل واستغنوا عن اظهاره، فانه قد علم ان زيدا ليس خيراً (ولا مبتداً)، ولا مبنياً على مبتداً، فلا بد من ان يكون على الفعل"^(٤٤).

وقد تضمنر "كان" كما في قول العرب: اما انت منطلقاً انطلقت معك، فهو على اضمار "كان"

وشاهده قول الشاعر، وهو عباس بن مرداس:

(٣٩) نفسه.

(٤٠) نفسه، ص ٢٩١.

(٤١) نفسه.

(٤٢) الكتاب، ج ٢، ص ١٨٢.

(٤٣) نفسه، ص ١٨٣.

(٤٤) الكتاب، ج ١، ص ٢٩٢.

أبَا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفْرٍ فَإِنْ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الصَّبِيعُ

ويحلل سيبويه "أما" فيقول: فانما هي "أن" ضُمَّت اليها "ما" وهي "ما" التوكيد، ولزمت كراهية ان يُجحفوا بها لتكون عوضاً من ذهاب الفعل، كما كانت الهاءُ والألف عوضاً في الزنادقة واليماني من الياء^(٤٥). ويقرر ان أما لا يُذكر بعدها الفعل المضمر ويقول: فان اظهرت الفعل قلت: إما كنت منطلقاً انطلقت، انما تريد: ان كنت منطلقاً انطلقت، فحذف الفعل لا يجوز ههنا (أي مع إِمَّا) كما لم يجر ثمَّ اظهاره (مع أما) لأن "أما" كثرت في كلامهم واستعملت حتى صارت كالمثل المستعمل^(٤٦). ومما ينتصب على الفعل المحذوف لكثرة الاستعمال قولهم: مرحباً واهلاً، قائماً رأيت رجلاً قاصداً الى مكانٍ او طالباً امرأً فقلت: مرحباً واهلاً، أي ادركت ذلك واصبت، فحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم اياه، وكأنه صار بدلاً من رَحِبْتُ بلادك وأهلت، كما كان "الحذر" بدلاً من احذر^(٤٧).

ج- اضماره فيما صار بمنزلة المثل

وكما نرى فإن من اسباب حذف الفعل كثرتة في كلامهم، ويخصص سيبويه باباً لما يُحذف منه الفعل لكثرتة في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل^(٤٨)، ومن امثلة هذا الباب قولهم: "هذا ولا زَعَمَاتِكَ. أي : ولا اتوهمُ زَعَمَاتِكَ". ومنه قول ذي الرُّمة:

ديارَ مِيَّةٍ إِذْ مِيٌّ مَسَاعِفَةٌ وَلَا يَرِي مِثْلَهَا عَجْمٌ وَلَا عَرَبٌ

"كأنه قال: اذكر ديار مِيَّة. لكنه لا يذكر "اذكر لكثرة ذلك في كلامهم"... ومن ذلك قول العرب: كليهما وتمراً، فهذا مثل قد كثر في كلامهم واستعمل، وترك ذكر الفعل... كأنه قال: اعطني كليهما وتمراً. ومن ذلك قولهم: كلَّ شيءٍ ولا هذا، وكلَّ شيءٍ ولا شتيمة حُرٍّ، أي انت كل شيءٍ ولا

^(٤٥) نفسه، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

^(٤٦) نفسه، ص ٢٩٤.

^(٤٧) نفسه، ص ٢٩٥.

^(٤٨) نفسه، ص ٢٨٠.

ترتكب شتيمة حُرٌّ، فحذف لكثرة استعمالهم اياه، ومن العرب من يقول: كلاهما وتمراً، كأنه قال كلاهما لي ثابتان وزدني تمراً^(٤٩)... أي يضم خيراً ثم يضم فعلاً.

ويتطرق سيبويه للآية الكريمة "انتهوا خيراً لكم" (الآية ١٧١ من سورة النساء) ولما يشابهها من الصيغ في حال الأمر مثل: وراءك أوسع لك"، و"حسبك خيراً لك" فيقول: "وانما نصبت خيراً لك وأوسع لك، لأنك حين قلت: "انتَه" فأنت تريد ان تخرجه من امرٍ وتدخله في آخر. وقال الخليل: كأنك تحمله على ذلك المعنى، كأنك قلت: انتَه وادخل فيما هو خير لك، فنصبتَه لأنك قد عرفت انك اذا قلت له: انتَه، انك تحمله على امرٍ آخر، فلذلك انتصب، وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم اياه في الكلام، ولعلم المخاطب انه محمول على امرٍ حين قال له انتَه، فصار بدلاً من قوله: انت خيراً (لك)، وادخل فيما هو خير لك^(٥٠).

ويكمل سيبويه: "ونظير ذلك في الكلام قوله: انتَه يا فلانُ امرأً قاصداً. فانما قلت: انتَه وأت امرأً قاصداً، الا ان هذا يجوز لك فيه اظهار الفعل، فانما ذكرت لك ذا لأمثل لك الأول به^(٥١).

وفي تعليق سريع على ما اورده سيبويه يبدو لي ان كلاً من الخليل وسيبويه قد قصدا الى اضمار فعل ينصب "خيراً"، على خلاف ما ظنه الدكتور مهدي المخزومي في كتابه "في النحو العربي - نقد وتوجيه" حيث يقول تعليقاً على ما ورد على لسان الخليل: "والخليل في هذا لم ينسب نصب (خيراً) الى فعل ولكنه نسبه الى وقوعه في سياق فعل دلّت عليه قرائن القول ومناسباته وقوله: (كأنك قلت: انتَه، وادخل فيما هو خير لك) لا يُشعر بفعل ناصب، ولا نصّ فيه على فعل بعينه^(٥٢). ولكن الملاحظ ان سيبويه حين بدأ الكلام على الآية المذكورة قال: "ومما ينتصب في هذا الباب على اضمار

(٤٩) نفسه، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٥٠) نفسه، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٥١) نفسه، ص ٢٨٤.

(٥٢) مهدي المخزومي، في النحو العربي - نقد وتوجيه، ص ٢١٠.

الفعل المتروك اظهاره^(٥٣). ثم ان قوله : "تريد ان تخرجه من امرٍ وتدخله في آخر" يشعر بالكلام على فعل امر. اضافة الى هذا فقول الخليل ينص على انهم "حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم اياه في الكلام"، ولكن الحرج من ادخال مضمرة على الآية الكريمة هو الذي منعه من التمثيل صراحة، والملاحظ انه يستعمل "انتَه" بدلاً من "انتهوا" "وأنتَ خيراً" وذلك كله لتجنب "التدخل" في النص القرآني.

د- اضماره اذا دلّ عليه دليل

ويُضمَر الفعل اذا دلّ عليه ما قبله مثل قول ابن قميّنة:

تَذَكَّرْتُ أَرْضاً بِهَا أَهْلُهَا أَخْوَالُهَا فِيهَا وَأَعْمَامُهَا^(٥٤)

ويعلّق سيبويه على هذا القول: "لأن الأحوال والأعمام قد دخلوا في التذكّر"^(٥٥). ومما يُضمَر فيه الفعل التمني مثل قول الخليل: "ألا رجلٌ إمّا زيداً واما عمراً، لأنه حين قال: ألا رجلٌ، فهو متمنٍ شيئاً يسأله ويريده، فكانه قال: اللهم اجعله زيداً أو عمراً، او وفق لي زيداً أو عمراً"^(٥٦). ومعنى التمني يكون في مثل: "اللهم غلاماً ومعناه اللهم هب لي غلاماً"^(٥٧).

هـ- اضماره في اسلوب المفاعلة

واضمار الفعل يكون ايضاً في اسلوب المفاعلة كقول الشاعر، وهو عبد بني عبس:

قد سألَمَ الحياتُ منه القدما الأفعوانَ والشجاعَ الشجعماً

^(٥٣) الكتاب، ج ١، ص ٢٨٢.

^(٥٤) نفسه، ص ٢٨٥.

^(٥٥) نفسه، ص ٢٨٦.

^(٥٦) نفسه.

^(٥٧) الكتاب، ج ٢، ص ٣٠٩.

وذات قرنين ضموراً ضيرتِما

"فانما نصب الأفعوان والشجاع لأنه قد عُلِمَ ان القدم ههنا مسالمة كما انها مسالمة، فحمل الكلام على

انها مسالمة"^(٥٨). ومثل هذا قول اوس بن حجر:

تواحق رجلاها يداها ورأسه لها كتبت خلف الحقيبة رادفا

وقد رُفِعَت "يداها" على تقدير فعل لأن الفعل المذكور على اسلوب المفاعلة، فاليدان مواهقتان

كما انهما مواهقتان.

و- نصب المصادر بالفعل المتروك اظهاره

ومن المصادر ما ينصب على اضمار غير المستعمل اظهاره، مثل: سقياً ورعياً وبعداً

وسحقاً. ونحو قول ابن ميادة^(٥٩) :

تفاقد قومي إذ يبيعون مهجتي بجارية بهراً لهم بعدها بهراً

أي تياً.

ومثله:

ثم قالوا: تحيها، قلت: بهراً عدد النجم والحصى والتراب

"كانه قال: جهداً".

ويعلل سيبويه النصب في هذا على انه دعاء لشخص قد ذكر او هو دعاء عليه، على اضمار

الفعل^(٦٠). ويضيف: "وانما اختزل الفعل ها هنا لأنهم جعلوه بدلاً من اللفظ بالفعل، كما جعل "الحدَر"

بدلاً من احذر... وما جاء منه لا يظهر له فعل فهو على تمثيل هذا المثال نصب، كأنك جعلت بهراً

^(٥٨) الكتاب، ج ١، ص ٢٨٧.

^(٥٩) نفسه، ص ٣١١.

^(٦٠) نفسه، ص ٣١٢.

بدلاً من بهرك الله، فهذا تمثيل ولا يتكلم به". ويعقد سيبويه باباً لمصادر تنتصب باضمار الفعل المتروك اظهاره ولكنها مصادر وضعت موضعاً واحداً لا تتصرف في الكلام تصرف ما ذكرنا من المصادر. وتصرفها انها تقع في موضع الجر والرفع وتدخلها الألف واللام^(٦١). أي ان هذه المصادر لا تدخلها الألف واللام ولا تقع في موضع الجر والرفع. وامثلة هذه المصادر هي: سبحان الله، ومعاذ الله، وعمرك الله ألا فعلت، "كأنه حيث قال: سبحان الله، قال: تسييحاً... فنصب هذا على اسبح الله تسييحاً... وخزل الفعل ههنا لأنه بدل من اللفظ بقولك: أسبحك... وكأنه حيث قال: عمرك الله وقعدك الله، قال: عمرتك الله؛ بمنزلة نشدتك الله، فصارت عمرك الله منصوبة بعمرتك الله، كأنك قلت عمرتك عمراً"^(٦٢). ويورد قول الشاعر:

عمرتك الله إلا ما ذكرت لنا هل كنت جارتنا أيام ذي سلم

ليؤكد اضمار "عمرتك" لنصب "عمرك". ويقول: "قعدك الله يجري هذا المجرى وان لم يكن له فعل"^(٦٣).

ثم يعقد باباً لمصادر تنتصب سواء دخلها الألف واللام ام لا، ويمثل عليها بمثل: "ما انت الا سيراً؛ والا سيراً سيراً، وما انت الا الضرب الضرب وما انت الا قتلاً قتلاً، وما انت الا سير البريد سير البريد، فكأنه قال في هذا كله: ما انت الا تفعل فعلاً، وما انت الا تفعل الفعل، ولكنهم حذفوا الفعل"^(٦٤) لأن المصدر يصير في الإخبار والاستفهام بدلاً من اللفظ بالفعل.

(٦١) نفسه، ص ٣٢٢.

(٦٢) نفسه.

(٦٣) نفسه، ص ٣٢٣.

(٦٤) نفسه، ص ٣٣٥.

هذا في الإخبار، اما امثلة الاستفهام في هذا الباب فقولك: اقياماً يا فلان والناس تعود،

وأجلوسا والناس يعدون^(٦٥). ومن ذلك قول الراجز، "وهو العجاج:

أطرباً وأنت قنصريُّ

واتما اراد اطرب^(٦٦).

ويعلق سيوييه ان الفعل "صار في الاستفهام والخبر بمنزلة في الأمر والنهي لأن الفعل يقع

ههنا كما يقع فيهما، وان كان الأمر والنهي أقوى لأتهما لا يكونان بغير فعل^(٦٧).

ز - الأسماء التي اخذت من الأفعال او التي لم تؤخذ منها

وعلى هذا انتصاب الأسماء التي اخذت من الأفعال في حال الاستفهام او عدمه من مثل:

"أقائماً وقد قعد الناس" و "قائماً قد علم الله وقد قعد الناس". يحذف الفعل في هذا استغناء بما يرى من

الحال، ويصير الاسم بدلاً من اللفظ بالفعل^(٦٨). ويتبع هذا الاسماء التي لم تؤخذ من الفعل مثل قولك:

"أتميمياً مرةً وقيسياً اخرى"^(٦٩) وهو يحتاج الى تقدير فعل ليس من لفظه، "قصار بدلاً من اللفظ بقولك:

أنتمم مرةً وتتقيسُ اخرى"^(٧٠) (لأن الفعل هنا اخذ من الاسم). ووضح من هذا في التمثيل على الاسم

الذي لم يؤخذ من الفعل قول رجل من بني اسد: "استقبله بعيرٌ اعورٌ فتطيرُ منه، فقال: يا بني اسد،

اعورٌ وذا ناب!"^(٧١) ومثله قول الشاعر:

أفي السلم أعياراً جفَاءً وغلظةً وفي الحرب اشباه الإمام العوارك

^(٦٥) نفسه، ص ٣٣٨.

^(٦٦) نفسه.

^(٦٧) نفسه، ص ٣٣٥.

^(٦٨) نفسه، ص ٣٤٠.

^(٦٩) نفسه، ص ٣٤٣.

^(٧٠) نفسه، ص ٣٤٥.

^(٧١) نفسه، ص ٣٤٣.

ويعلق سيبويه على هذا بالقول: "ولو مثلت ما نصبت عليه الأعيان والأعور في البدل من اللفظ لقلت: اتعبرون مرة، وأتعورون إذا اوضحت معناه، لأنك إنما تجريه مجرى ما له فعل من لفظه، وقد يجري مجرى الفعل ويعمل عمله، ولكنه كان أحسن أن توضحه بما يتكلم به إذا كان لا يغير معنى الحديث. وكذلك هذا النحو ولكنه يترك استغناءً بما يحسن من الفعل الذي لا ينقض المعنى"^(٧٢). أي يؤكد على عدم نقض المعنى واستخدام الفعل المستعمل والمضمر. ويعلل سيبويه اختيار النصب في مثل هذا بقوله "وإنما كان النصب هاهنا الوجه لأنه موضع يكون الاسم فيه معاقباً للفظ بالفعل"، أي إن الاسم في هذا الموضع يأتي بعد الفعل، وهو لا يستبعد الرفع أيضاً إذ يقول "والرفع جيد لأنه المحدث عنه والمستفهم ولو قال: أعور وذو ناب، كان مصيباً"^(٧٣).

ح- المصادر المثناة

ومما ينتصب على الفعل المتروك اظهارة ما يجيء من المصادر مثنى من مثل: حنانيك ولييك وسعديك ودواليك. يقول سيبويه: "ومعنى تثنية دواليك أنه فعل من اثنتين، لأنني إذا داولت فمن كل واحد منا فعل"^(٧٤). ويمثل على "لييك" و"سعديك" بأنه يقال للرجل المداوم على الشيء لا يفارقه ولا يقلع عنه: قد الب فلان على كذا وكذا. ويقال: قد اسعد فلان فلاناً على امره وساعده، فالإلجاب والمساعدة دنو ومتابعة... فكانه إذا قال الرجل للرجل: يا فلان، فقال لبيك وسعديك، فقد قال له: قريباً منك ومتابعة لك. فهذا تمثيل وإن كان لا يستعمل في الكلام"^(٧٥).

(٧٢) نفسه، ص ٣٤٥.

(٧٣) نفسه، ص ٣٤٧.

(٧٤) نفسه، ص ٣٥١.

(٧٥) نفسه، ص ٣٥٣.

ط- المصدر المشبه به

وينتصب على الفعل المتروك اظهارة المصدر المشبه به والمثل على ذلك: مررت به فاذا له صوت صوت حمار. يقول سيبويه "فانما هذا لأنك مررت به في حال تصويت، ولم ترد ان تجعل الآخر صفة للأول ولا بدلاً منه"^(٧٦). ولكنك لما قلت: له صوت، علم انه قد كان ثم عمل، فصار قولك: له صوت بمنزلة قولك: فاذا هو يصوت، فحملت الثاني على المعنى^(٧٧). أي انه حذف الفعل وصار له صوت بدلاً منه.

ويشرح سيبويه مسألة نصب المصدر المشبه به فيقول: "فاذا قلت: مررت به فاذا هو يصوت صوت الحمار فعلى الفعل غير حال. فان قلت: صوت حمار فالقيت الألف واللام فعلى اضمارك فعلاً بعد الفعل المظهر سوى الفعل المظهر، وتجعل صوت حمار مثلاً عليه يخرج الصوت او حالاً، كما اردت ذلك حين قلت: فاذا له صوت. وان شئت اوصلت اليه يصوت، فجعلته العامل فيه، كقولك: يذهب ذهاباً"، أي انه بدخول الألف واللام يصل الفعل المظهر ويكون العامل، اما اذا القيت الألف واللام فعلى اضمار فعل، ويتابع: "ويدلُّك على انك اذا قلت: فاذا له صوت صوت حمار، فقد اضمرت فعلاً بعد "له صوت"، وصوت حمار انتصب على انه مثال او حال يخرج عليه الفعل - انك اذا اظهرت الفعل الذي لا يكون المصدر بدلاً منه احتجت الى فعل آخر تضمرة. فمن ذلك قول الشاعر:

إذا رأيتني سقطت أبصارها دأب بكارٍ شايحت بكارها

ويكون على غير الحال، وان شئت بفعل مضمر، كأنك قلت: تدأب، فيكون أيضاً مفعولاً وحالاً، كما يكون غير حال"^(٧٨).

^(٧٦) يقول السيرافي: يعني انك لم ترد ان تجعله نعتاً ولا بدلاً منه فتزج.

^(٧٧) الكتاب، ج ١، ص ٣٥٦.

^(٧٨) نفسه، ص ٣٥٦ - ٣٥٨. ويشرح السيرافي بقوله: "اعلم ان منهب سيبويه انه اذا جاء بالمصدر بفعل ليس من حروفه كان باضمار فعل من لفظ ذلك المصدر. فمن اجل هذا استدلل على اضمار فعل بعد قوله "له صوت" بهذا الشعر، لأن قوله "دأب بكار" منصوب وليس قبله فعل من لفظه، فأضمر دأبت وتدأب".

ي- في الاختصاص

وفي حذف الفعل، او بالأحرى تقديره، في الاختصاص فان سيوييه يقيسه على موضع النداء نصباً "لأن موضع النداء نصب، ولا تجري الأسماء فيه مجراها في النداء، لأنهم لم يجروها على حروف النداء، ولكنهم اجروها على ما حمل عليه النداء. وذلك قولك: أنا معشر العرب نفعل كذا وكذا، كأنه قال: اعني، ولكنه فعل لا يظهر ولا يُستعمل كما لم يكن ذلك في النداء، لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب، وانهم لا يريدون ان يحملوا الكلام على اوله، ولكن ما بعده محمول على اوله"^(٧٩). أي ان خبر "إن" في إنا معشر العرب نفعل كذا وكذا هو جملة "نفعل": فيما "معشر العرب" كأنها قد ذُكرت "افتخاراً وابتهاً"^(٨٠).

ك- النصب على التعظيم والمدح والترحم

ومما يشبه الاختصاص في الافتخار والابتهاه ولكنه لا يجري مثله على النداء - النصب على التعظيم والمدح، "وذلك قولك: الحمد لله الحميد هو، والحمد لله اهل الحمد، والملك لله اهل الملك"^(٨١). ويجيز سيوييه ان تجعله على الصفة مثل: الحمد لله اهل، او ان تقطعه فتبتدئه، كما قال مُهَلِّل:

ولقد خَبَطَن بِيوتَ يَشْكُرُ خِبطَةَ
أخوالنا وهمُ بنو الأعمام

كأنه حين قال: خبطن بيوت يشكر قيل له: وما هم؟ فقال: اخوالنا وهم بنو الأعمام"^(٨٢). ويورد سيوييه قول بعض العرب: الحمد لله رب العالمين، ويقول انه سال عنها يونس فزعم انها عربية. ويمثل على

^(٧٩) الكتاب، ج ٢، ص ٢٢٣.

^(٨٠) نفسه، ص ٦٦.

^(٨١) نفسه، ص ٦٢.

^(٨٢) نفسه، ص ١٦.

النصب على التعظيم والمدح بما ورد في كتاب الله فيورد الآية ١٦٢ من سورة النساء: "لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة" ويعلق بأن يقول: "قلو كان كله رفعاً كان جيداً. فأما المؤتون فمحمول على الابتداء"^(٨٣). ويتبع هذه الآية بالآية ١٧٧ من سورة البقرة "ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وأتى المال على حبه ذوي القربى والیتامى والمساكين وابن السبیل والسائلین وفي الرقاب وأتى الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس"، يقول سيويوه: ولو رفع الصابرين على اول الكلام كان جيداً، ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كان جيداً كما ابتدأت في قوله: "والمؤتون الزكاة"^(٨٤).

ويورد زعم عيسى من انه سمع ذا الرمة ينشد هذا البيت نصياً:

لقد حملت قيس بن عيلان حربها على مستقل للنواب والحرب
أخاها اذا كانت عضاضاً سما لها على كل حال من ذلول ومن صنع
ويفسر: "زعم الخليل ان نصب هذا على انك لم ترد ان تحدث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت، فجعله ثناءً وتعظيماً ونصبه على الفعل، كأنه قال: اذكر اهل ذلك، واذكر المقيمين، ولكنه فعل لا يستعمل اظهاره"^(٨٥). ويجري الاضمار في الشتم كما جرى في المدح والتعظيم ويمثل عليه سيويوه بأنك تقول: "أتاني زيد الفاسق الخبيث، لم يرد ان يكرره ولا يعرفك شيئاً تنكره، ولكنه شتمه بذلك". ويضيف: "وبلغنا ان بعضهم قرأ هذا الحرف نصياً: "وامرأته حمالة الحطب"، لم يجعل الحمالة خيراً للمرأة، ولكنه كأنه قال: اذكر حمالة الحطب شتماً لها، وان كان فعلاً لا يستعمل اظهاره"^(٨٦).

(٨٣) نفسه، ص ٦٣.

(٨٤) نفسه، ص ٦٣-٦٤.

(٨٥) نفسه، ص ٦٥ - ٦٦.

(٨٦) نفسه، ص ٧٠.

وينقل زعم يونس من انه سمع الفرزدق ينشد:

كم عمّة لك يا جريرُ وخالةُ

فدعاء قد حلّبت عليّ عشاري

شغارة تقذُ الفصيلَ برجلها

فطارة لقوادم الأبرارِ

ويعلق بأنه "جعله شتماً، وكأنه حين ذكر الحلب صار من يخاطب عنده عالماً بذلك"^(٨٧). وهو يفرق بينه وبين قول حسان بن ثابت:

حارِ بن كعبِ ألا احلامَ تزجرُكم

عني واتم من الجوفِ الجماخيرِ

لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عظمٍ

جسمُ البغالِ واحلامُ العصافيرِ

فيقول: "للم يرد ان يجعله شتماً، ولكنه اراد ان يعدّد صفاتهم ويفسرها، فكأنه قال: أما اجسامكم فكذا واما احلامكم فكذا. وقال الخليل رحمه الله: لو جعله شتماً فنصبه على الفعل كان جائزاً"^(٨٨). وحياناً ينصب ما كان صفة على معنى الفعل دون ارادة المدح او الذم، ويورد سيبويه البيت التالي:

وما غرتي حوزُ الرّزاميِّ مخصناً

عواشيتها بالجوّ وهو خصيبُ

ويفسر هذا بقوله: "ومحصن اسم الرّزامي، فنصبه على اعني، وهو فعل يظهر، لأنه لم يرد اكثر من ان يعرقه بعينه، ولم يرد افتخاراً ولا مدحاً ولا ذماً"^(٨٩).

أما الترحم فيكون "بالمسكين والبائس ونحوه، ولا يكون بكل صفة ولا كل اسم، ولكن ترحم

بما ترحم به العرب"^(٩٠). وشاهده عند سيبويه:

فأصبحتُ بقرقرى كواتسا

فلا تلمّهُ أن ينامَ البائسا

ويورد قول الخليل من اجازته الترحم في مثل مررت به المسكين على البدل او يجوز رفعه او نصبه.

(٨٧) نفسه، ص ٧٣ - ٧٤.

(٨٨) نفسه.

(٨٩) نفسه، ص ٧٤.

(٩٠) نفسه، ص ٧٤ - ٧٥.

ل- القسم

والقسم فيه فعل مضمر عند سيبويه كأن حروف الجر التي تدخل على المحلوف به قد سبقها فعل كما هو الأمر مع "مررتُ به". ويشرح سيبويه الأمر بقوله: "وللقسم والمقسم به ادوات في حروف الجر، وأكثرها الواو، ثم الباء، يدخلان على كل محلوف به، ثم التاء، ولا تدخل الا في واحد، وذلك قولك: والله لأفعلن، وبالله لأفعلن، وتالله لأكيدن اصنامكم. وقال الخليل: انما تجيء بهذه الحروف لأنك تضيف حلفك الى المحلوف به كما تضيف مررتُ بالباء، الا ان الفعل يجيء مضمرأ في هذا الباب والحلف توكيد"^(٩١).

م- الاشتغال

اما الاشتغال فيسميه سيبويه "باب ما يكون فيه الاسم مبنياً على الفعل قُدّم أو أُخّرَ وما يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم"^(٩٢). ويوضح فيه بناء الفعل على الاسم ورفعته بالابتداء ثم يخرج ما جاء نصباً على اضمار فعل. فيقول: "فاذا بنيت الفعل على الاسم قلت: زيداً ضربتُه، فلزمته الهاء. وانما تريد بقولك مبنيٌ عليه الفعل انه في موضع "منطلق" اذا قلت: عبدُ الله منطلق، فهو في موضع هذا الذي بُني على الأول وارتفع به، فانما قلت عبدُ الله فنسبته له ثم بنيت على الفعل ورفعته بالابتداء... وان شئت قلت: زيداً ضربتُه، وانما نصبه على اضمار فعل هذا يفسره، كأنك قلت: ضربتُ زيداً ضربتُه، الا انهم لا يظهرون هذا الفعل هنا للاستغناء بتفسيره. فالاسم ها هنا مبنيٌ على هذا المضمر"^(٩٣). ويذكر قراءة بعضهم "واما ثمودَ فهديناهم" (سورة فصلت، الآية ١٧) وكذلك انشاد بيت بشر بن خازم على وجهين النصب والرفع:

^(٩١) الكتاب، ج ٣، ص ٤٩٦ - ٤٩٧.

^(٩٢) نفسه، ص ٨٠.

^(٩٣) الكتاب، ج ١، ص ٨١.

فألفاهم القوم رَوَى نياما

فأما تميم تميم بن مر

ويقول في: "زيد مررتُ به" انه بعيد من النصب، "لأن المضمرة (أي الضمير) قد خرج من الفعل واضيء الفعل اليه بالباء، ولم يوصل اليه الفعل في اللفظ... وان شئت قلت: زيدا مررتُ به تريد ان تفسر به مضمراً (أي ان تفسر بالفعل المذكور فعلاً مقدراً)، كأنك قلت اذا مثلت ذلك: جعلتُ زيدا على طريقي مررتُ به، ولكنك لا تظهر هذا الأول... واذا قلت: زيداً لقيت اخاه فهو كذلك، وان شئت نصبت، لأنه اذا وقع على شيء من سببه فكأنه قد وقع به... واذا نصبت: زيدا لقيتُ اخاه، فكأنه قال: لا بستُ زيدا لقيتُ اخاه. وهذا تمثيلٌ ولا يتكلمُ به"^(٩٤).

^(٩٤) نفسه، ص ٨٣.

في اضممار الاسم

ينقسم اضممار الاسماء في الجملة الاسمية بين المبتدأ والخبر لتتم الجملة من مسند ومسند اليه، لذلك كان لا بُدَّ من تقدير احدهما في حال لم يكن الكلام جملة تامة، وهما "عمدة" في الجملة الاسمية لا غنى عن أي منهما. وبما ان النواسخ قد تدخل على الجملة الاسمية فالعلاقة مماثلة ولا بد من التقدير. اما الفاعل فاضماره قليل لأنه ركن اساسي في الجملة الفعلية، لكنه يستبدل احياناً بنائب الفاعل، ويمكن اضمماره في التنازع لأن اول الفعلين، عادةً، يكون "مُعملاً في المعنى وغير مُعمل في اللفظ، والآخر مُعمل في اللفظ والمعنى" بتعبير سيويوه.

١- المبتدأ

أ- اضممار المبتدأ اذا دلّ عليه دليل

يحذف المبتدأ او يضمّر (جوازاً) عند سيويوه اذا دلّ عليه دليل وهو يعبر عن ذلك بقوله: "وذلك انك اذا رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربي، كأنك قلت ذاك عبد الله، او هذا عبد الله. او سمعت صوتاً فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت: زيدٌ وربي. او مسيت جسدأ أو شممت ريحاً فقلت: زيد، او المسك. أو ذقت طعاماً فقلت: العسل. ولو حذتت عن شمائل رجل فصار آية لك على معرفته لقلت: عبد الله. كأن رجلاً قال: مررت برجلٍ راحمٍ للمساكين باراً بوالديه، فقلت: فلانٌ والله"^(٩٥).
وفي تخريجه لقول عدي بن زيد^(٩٦):

أنتَ فانظر لأيّ ذاك تصيرُ

أرواحٌ مُودَعٌ أم بُكورُ

^(٩٥) الكتاب، ج ٢، ص ١٣٠.

^(٩٦) الكتاب، ج ١، ص ١٤٠.

يقول: "قانه على ان يكون في الذي يرفع على حالة المنصوب في النصب"^(٩٧)... وقد يجوز ان يكون انت على قوله: انت الهالك (أي انت مبتدأ والخبر مقدم)... ويجوز ايضاً على قوله: شاهدك، أي ما ثبت لك شاهدك"^(٩٨) (أي الذي ثبت لك شاهدك)، وهذا يعني ان انت هي الخبر والمبتدأ مقدر. ويجعل التقدير في قوله تعالى "طاعةً وقولٌ معروفٌ" (الآية ٢١ من سورة محمد) أما على تقدير مبتدأ او على تقدير خبر، يقول: "إما ان يكون اضمير الاسم وجعل هذا خبره كأنه قال: أمري طاعة وقول معروف، او يكون اضمير الخبر فقال: طاعةً وقولٌ معروفٌ امثل"^(٩٩).

ويضمير المبتدأ عند سيبويه بعد "إما" احياناً، اذ يقول في قول الشاعر^(١٠٠):

لقد كذبتك نفسك فاكذبتها
فإن جزعاً وإن إجمال صبر

"فهذا على إما، وليس ان الجزاء... ولو قلت: فإن جزع وإن إجمال صبر، كان جائزاً، كأنك قلت: فإما أمري جزع وإما إجمال صبر". ويقول في موضع آخر: "وقد يجوز ان تقول: الا رجُلُ إما زيداً وإما عمرو، كأنه قيل له: من هذا المتمنى؟ فقال: زيداً أو عمرو"^(١٠١).

ب- اضماره اذا كان الخبر مصدراً يقع موقع الفعل

ويضمير المبتدأ اذا كان الخبر مصدراً يقع موقع الفعل او ينوب عنه فعله، يقول سيبويه: "وسمنا بعض العرب الموثوق به، يقال له: كيف اصبحت؟ فيقول: حمدُ الله وثناءً عليه، كأنه يحمله على مضمر في نيته هو المظهر، كأنه يقول: أمري وشأني حمد الله وثناءً عليه... وهذا مثل بيت سمعناه من بعض العرب الموثوق به يرويه:

^(٩٧) بكلام السيرافي: ان ترفع انت بفعل مضمر يفسره المظهر.

^(٩٨) الكتاب، ج ١، ص ١٤١.

^(٩٩) نفسه.

^(١٠٠) نفسه، ص ٢٦٧.

^(١٠١) نفسه، ص ٢٨٩. والملاحظ ان صيغة الاستفهام يليها جواب فيه حذف للمبتدأ، أي: هذا زيد.

فَقَالَتْ: حَنَانٌ، مَا أَتَى بِكَ ههنا أذو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ؟

لم تُرِدِ حِنَّ، ولكنها قالت: امرئنا حنانٌ، او ما يصيينا حنانٌ وفي هذا المعنى كله معنى النصب... ومثل ذلك قول الشاعر:

يشكو اليّ جَملي طُولَ السُرَى صَبْرٌ جَميلٌ فكلانا مبتلى

والنصب أكثر واجود، لأنه يأمره. ومثل الرفع: "قصبر جميل والله المستعان" (الآية ١٨ من سورة يوسف) كأنه يقول: الأمر صبرٌ جميلٌ. والذي يرفع عليه حنانٌ وصبرٌ وما اشبه ذلك لا يستعمل اظهاره، وترك اظهاره كترك اظهار ما ينصب فيه^(١٠٢).

ج- اضماره في التعظيم والمدح والذم والترحم

ويضمّر المبتدأ اذا اخبر عنه بنعت مقطوع الى الرفع في معرض التعظيم او المدح او الذم او الترحم، يقول سيبويه في "باب ما ينتصب على التعظيم والمدح"^(١٠٣): "وان شئت جعلته صفةً فجرى على الأول، وان شئت قطعته فابتدأته. وذلك قولك: الحمد لله الحميد هو، والحمد لله اهل الحمد... ولو ابتدأته فرفعته كان حسناً، كما قال الأخطل:

نفسى فداءً أمير المؤمنين اذا أبدى النواجذ يومَ باسلٍ ذَكَرُ

الخائضُ الغَمْرَ والميمونُ طائره خليفةُ الله يُستسقى به المطرُ

ومثله في الابتداء قول ابن خياط العكلى:

وكلُّ قومٍ أطاعوا أمرشدهم الا نُميراً أطاعتْ أمرَ غاويها

الظاعنين ولما يُظعنوا أحداً والقائلون لمن دارَ نخليها^(١٠٤)

^(١٠٢) نفسه، ص ٣١٩ - ٣٢٠ و ٣٢١.

^(١٠٣) الكتاب، ج ٢، ص ٦٢.

^(١٠٤) نفسه، ص ٦٤.

حيث رفع "القائلون" على اضممار مبتدأ، وهذا البيت في ذمهم.

وقال عروة الصعاليك العبسي:

سَقُونِي الخمر ثم تَكْتَفُونِي عُدَاةُ الله من كَذِبٍ وزورٍ

ويورد قول النابغة:

لَعَمْرِي وما عمري عليّ بهيّن لقد نَطَقْتُ بَطْلاً عليّ الأكارغ

أَقَارِغٌ عَوْفٍ لا أحاولُ غيرها وجوهٌ قرودٌ تبتغي من تجادغ

ويقول: "وزعم يونس انك ان شئت رفعت البيتين جميعاً على الابتداء، تضمير في نفسك شيئاً لو

اظهرته لم يكن ما بعده الا رفعاً"^(١٠٥).

وفي الترحم يقول: "وزعم الخليل انه يقول: مررتُ به المسكين، على البدل، وفيه معنى

الترحم... وكان الخليل يقول: إن شئت رفعتَه من وجهين قللت: مررتُ به البائسُ، كأنه لما قال

مررتُ به قال المسكينُ هو، كما يقول مبتدئاً: المسكين هو، والبائسُ انت. وان شاء قال: مررتُ به

المسكينُ هو، والبائسُ انت"^(١٠٦).

د - اضمماره مع نِعَمٍ وبئس

ومما يضمير المبتدأ فيه عند سيبويه "نِعَمٌ" و"بئس" وهما فعلان عنده^(١٠٧)، وذلك في مثل: نِعَمَ

الرجلُ عبدُ الله، أي عندما يكون فاعلها محلى "بأل"، ولتوضيح رأي سيبويه نورد ما قاله في هذا

الشأن: "وأما قولهم نِعَمَ الرجلُ عبدُ الله فهو بمنزلة: ذَهَبَ اخوه عبد الله، عمل "نِعَم" في الرجل ولم

يعمل في عبد الله. وإذا قال: عبدُ الله نِعَمَ الرجلُ فهو بمنزلة: عبد الله ذهب اخوه، كأنه قال نِعَمَ

الرجلُ فقيل له من هو؟ فقال: عبد الله. وإذا قال عبدُ الله فكأنه قيل له ما شأنه؟ فقال: نِعَمَ

^(١٠٥) نفسه، ص ٧٠ - ٧١.

^(١٠٦) نفسه، ص ٧٥.

^(١٠٧) الكتاب، ج ٣، ص ٢٦٦.

الرجل^(١٠٨). أي كأن "عبد الله" في قوله "نَعَمْ الرجلُ عبد الله" خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو" لوجود صيغة السؤال "من هو؟" أما في صيغة "عبد الله نَعَمْ الرجلُ" فعبد الله مبتدأ. ويضمّر المبتدأ أيضاً في مثل "قول بعض العرب: من انت زيّد، أي من انت كلامك زيّد، فتركوا اظهار الرفع"^(١٠٩).

هـ - لا سواء

ويذكر سيبويه قولهم: لا سواء فيقول: "وانما دخلت "لا" هنا لأنها عاقبت ما ارتفعت عليه سواء. الا ترى انك لا تقول هذان لا سواء"^(١١٠). يقصد كأن "لا" دخلت بدلاً من "هذان" فصارت "هذان" مبتدأ مضمراً. فلا مسند اليه بلا مسند لذا لا بد من التقدير.

و- بعد "بل" و "لكن"

ويمكن اضممار المبتدأ بعد "بل" و "لكن"، فقولنا: "مررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٍ" و"ما مررتُ برجلٍ صالحٍ لكن طالحٍ" يكون على البديل "وان شئت رفعت فابتدأت على "هو" فقلت ما مررت برجل صالحٍ ولكن طالحٍ، وما مررت برجلٍ صالحٍ بل طالحٍ، ومررت برجلٍ صالحٍ بل طالحٍ لأنها من الحروف التي يبتدأ بها. ومن ذلك قوله عز وجل: "وقالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَانَہِ بل عباداً مُكْرَمُونَ" فالرفع ههنا بعد النصب كالرفع بعد الجر"^(١١١).

(١٠٨) الكتاب، ج ٢، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(١٠٩) الكتاب، ج ١، ص ٣٢١.

(١١٠) الكتاب، ج ٢، ص ٣٠٢.

(١١١) الكتاب، ج ١، ص ٤٣٥.

ز - وجه من الوجوه

وفي مثل "هذا عبد الله منطلقاً" يروي سيبويه عن يونس وابي الخطاب ما نقلوه عن العرب من قولهم: "هذا عبدُ الله منطلقٌ" فيذكر توجيه الخليل للعبارة فيقول على لسانه: "فوجهُ انك حين قلت: هذا عبد الله منطلقٌ اضمرت هذا او هو، كأنك قلت: هذا منطلقٌ او هو منطلقٌ"^(١١٢).

ح - بعد "إذا" الفجائية

يعد سيبويه "إذا" الفجائية من حروف الابتداء تصرف الكلام الى الابتداء الا ان يدخل عليها الناصب^(١١٣)، ويضم بعدها المبتدأ بدليل ما يقوله في "باب يذهب فيه الجزاء من الأسماء" حيث يقرر: "وتقول: مررتُ به فاذا من يأتيه يعطيه، وان شئتُ جزمتُ لأن الاضمار يحسن هاهنا. الا ترى انك تقول: مررتُ به فاذا اجملُ الناسِ، ومررتُ به فاذا أيما رجلٍ. فاذا اردتُ الاضمار فكأنك قلت: فاذا هو من يأتيه يعطيه"^(١١٤). ففي هذا الموضع المضمرة (هو) المبتدأ ربما لوجود ضمير الغائب في "به"، وهذا على غير ما جاء في كتب النحو المتأخرة في مثل: "خرجتُ فاذا السبعُ"، التقدير: فاذا السبع حاضرٌ حيث يضم الخبر^(١١٥).

(على الهامش: يقول ابن يعيش ج ١، ص ٩٤ - ٩٥: "وتكون (إذا) بمعنى المفاجأة وهي في ذلك على ضربين تكون اسماً وتكون حرفاً واذا كانت اسماً كانت ظرفاً من ظروف الأمانة واذا كانت حرفاً كانت من حروف المعاني الدالة على المفاجأة كما ان "إن" حرف دال على المجازاة والهمزة حرف دال على معنى الاستفهام، فاذا قلت خرجت فاذا السبع و اردت به الظرفية لم يكن ثم حذف وكان السبع مبتدأ و"إذا" الخبر قد تقدم، كما تقول عندي زيد ويتعلق الظرف باستقرار محذوف فان

^(١١٢) الكتاب، ج ٢، ص ٨٣.^(١١٣) الكتاب، ج ١، ص ٩٥.^(١١٤) الكتاب، ج ٣، ص ٧٦.^(١١٥) شرح ابن عقيل، ت: الدكتور رمزي بعلبكي، ص ١١٥.

ذكرت اسماً آخر كان منصوباً على الحال نحو خرجت فاذا السبع واقفاً او عادياً والعامل في الحال الظرف، وان شئت رفعتَه على الخبر وجعلت الظرف من صلتته، فان جعلتها حرفاً كان الخبر محذوفاً لا محالة والتقدير "خرجت" فاذا السبع حاضر او موجود لأن المبتدأ لا بد له من خبر ولا خبر لها ههنا ظاهراً فوجب ان يكون مقدرأ. ويقول ابن هشام هي حرف عند الأخفش، ويرجحه قولهم "خرجتُ فاذا إن زيداً بالبَاب" بكسر ان، لأن إن لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وظرف مكان عند المبرد وظرف زمان عند الزجاج. واختار الأول ابن مالك، والثاني ابن عصفور، والثالث الزمخشري (معنى اللبيب، ج ١، ص ١٥٣ - ١٥٤).

٢- الخبر

أ- اضماره اذا دل عليه دليل

يضم الخبر (جوازاً) عند سيوييه اذا دل عليه دليل او قام في السياق ما يوضحه ويشرح هذا بقوله: "وأما قوله عزّ وجلّ: "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة" وقوله تعالى: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما"، فان هذا لم يبين على الفعل، ولكنه جاء على مثل قوله تعالى: "مثل الجنة التي وعد المتقون" ثم قال بعد: "فيها انهار من ماءٍ، فيها كذا وكذا، فانما وضع المثل للحديث الذي بعده، فنذكر اخباراً واحاديث، فكأنه قال: ومن القصص مثل الجنة، او مما يقص عليكم مثل الجنة، فهو محمول على هذا الاضمار ونحوه. والله تعالى اعلم. وكذلك "الزانية والزاني"، كأنه لما قال جلّ ثناؤه: "سورة انزلناها وفرضناها"، قال: في الفرائض الزانية والزاني، او الزانية والزاني في الفرائض، ثم قال: فاجلدوا، فجاء بالفعل بعد ان مضى فيهما الرفع... وكذلك: "والسارق والسارقة" كأنه قال: وفيما فرض الله عليكم السارق والسارقة، أو السارق والسارقة فيما فرض عليكم.

فاتما دخلت هذه الأسماء بعد قصصٍ واحاديثٍ^(١١٦). ولا يقتصر هذا على ما جاء في القرآن اذ يقول سيبويه: "وقد يجري هذا في زيد وعمرو على هذا الحد، اذا كنت تُخبرُ بأشياء أو توصي، ثم تقول: زيد، أي زيدَ فيمن أوصي به فأحسن اليه وأكرمه"^(١١٧).

وقد مرّ بنا في الحديث على اضمار المبتدأ تخريج سيبويه لقول الله تعالى "طاعةٌ وقولٌ معروف"، فانما هو إمّا على اضمار مبتدأ كأنه قال: امري طاعةٌ... او على اضمار الخبر كأنه قال: طاعةٌ وقولٌ معروفٌ امثل.

ب- بعد لولا

ويحذف الخبر (وجوباً) بعد لولا، يقول سيبويه: "هذا باب من الابتداء يضمّر فيه ما بينى على الابتداء" ويمثل له: "وذلك قولك: لولا عبد الله لكان كذا وكذا". ويشرح الصيغة بقوله: "أمّا لكان كذا وكذا فحديثٌ معلقٌ بحديث لولا. واما عبد الله فانه من حديث لولا، وارتفع بالابتداء كما يرتفع بالابتداء بعد حرف الاستفهام، كقولك: أزيد أخوك، إنما رفعته على ما رفعت عليه زيد أخوك. غير ان ذلك استخبارٌ وهذا خبرٌ، وكان المبنيّ عليه الذي في الاضمار كان في مكان كذا وكذا، فكأنه قال: لولا عبد الله كان بذلك المكان، ولولا القتال كان في زمان كذا وكذا، ولكن هذا حذف حين كثر استعمالهم اياه في الكلام"^(١١٨). فالخبر المحذوف "كان" وهو يدل على وجود وحدث لتتم الجملة من مسند ومسند اليه.

(١١٦) الكتاب، ج ١، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(١١٧) الكتاب، ج ١، ص ١٤٤.

(١١٨) الكتاب، ج ٢، ص ١٢٩.

ج- إذا كان المبتدأ مصدرأ أو افعال تفضيل

ويضم الخبر إذا كان المبتدأ مصدرأ أو افعال تفضيل مضافاً الى مصدر وبعده حال لا تصلح ان تكون خبرأ، ويوضح سيبويه هذا: "وتقول: عهدي به قريباً وحديثاً، اذا لم تجعل الآخر هو الأول. فان جعلت الآخر هو الأول رفعت. واذا نصبت جعلت الحديث والقريب من الدهر. وتقول: عهدي به قائماً وعلمي به ذا مال، فتتصب على انه حال وليس بالعهد ولا العلم، وليس هنا ظرفين. وتقول: ضربي عبد الله قائماً، على هذا الذي ذكرت لك"^(١١٩). أما افعال التفضيل المضاف الى مصدر وبعده حال لا تصلح ان تكون خبرأ فهو على قول سيبويه: "واما عبد الله احسن ما يكون قائماً فلا يكون فيه الا النصب، لأنه لا يجوز لك ان تجعل احسن احواله قائماً على وجه من الوجوه"^(١٢٠). ويوضح السيرافي المسألة في الهامش فيقول: "وعلى مذهب سيبويه اذا قلت احسن ما يكون فمعناه احسن احواله، وحواله ليست اياه وقائم هو عبد الله ولا يجوز ان يكون خبرأ لأحسن. وهذا اختيار الزجاج، وهو الصحيح، لأنه لو قلنا: زيد أحسن احواله قائم لم يُجز، لأن قائماً ليس من افعاله".

د- بعد "واو" المعية

ويضم الخبر إذا عُطف اسمٌ على المبتدأ بواو المعية، "وذلك قولك: انت وشأنك، وكل رجلٍ وضيعته..."^(١٢١).... "ولو قلت: أنت وشأنك كنت كأنك قلت: أنت وشأنك مقرونان، وكل امرئٍ وضيعته مقرونان، لأن الواو في معنى مع هنا، يعمل فيما بعدها ما عمل فيما قبلها من الابتداء والمبتدأ"^(١٢٢). ويتابع موضحاً في نفس المكان: "ومثله: أنت اعلم ومالك، فانما اردت أنت اعلم مع مالك. وأنت اعلم وعبدُ الله، أي انت اعلم مع عبد الله. وان شئت كان على الوجه الآخر، كأنك قلت:

(١١٩) الكتاب، ج ١، ص ٤١٩.

(١٢٠) نفسه، ص ٤٠٢.

(١٢١) نفسه، ص ٢٩٩.

(١٢٢) نفسه، ص ٣٠٠.

أنت وعبُد الله اعلم من غيركُما. فان قلت: أنت أعلم وعبُد الله في الوجه الآخر فانها ايضاً تعمل فيما بعدها الابتداء، كما عملت في ما صنعتَ واخاك، "صنعت"، فعلى أي الوجهين وجهته صار على المبتدأ لأن الواو في المعنيين جميعاً يعمل فيما بعدها ما عمل في الاسم الذي تعطفه عليه".

هـ- اذا تعلق بالخبر ظرف أو جار ومجرور

ويحذف الخبر عند سيبويه اذا تعلق به جار ومجرور او ظرف او اسم استفهام مما يدل على مكان او مستقر او حالة، ويوضح هذا قوله: "هذا باب ما يقع موقع الاسم المبتدأ ويسد مسده، لأنه مُستقرٌ لما بعده وموضع، والذي عمل فيما بعده حتى رفعه هو الذي عمل فيه حين كان قبله؛ ولكن كل واحد منهما لا يُستغنى به عن صاحبه، فلما جُمعا استغنى عليهما السكوت، حتى صارا في الاستغناء كقولك: هذا عبُد الله. وذلك قولك: فيها عبُد الله. ومثله: ثم زيد، وههنا عمرو، وأين زيد، وكيف عبُد الله، وما اشبه ذلك. فمعنى أين: في أي مكان، وكيف: على اية حالة. وهذا لا يكون الا مبدوءاً به قيل الاسم لأنها من حروف الاستفهام، فشُبِّهت بهل وألف الاستفهام لأنهن يستغنين عن الألف، ولا يكن كذلك الا استفهاماً"^(١٢٣).

^(١٢٣) الكتاب، ج ٢، ص ١٢٨.

في الاضمار بعد بعض النواسخ

١- في "إن" واخواتها

يضمّر خبر "إن" واخواتها حيث يدلّ المضمر على وجود أو مستقر وموضع فيما لو أظهر، يقول سيبويه: "هذا باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة لاضمارك ما يكون مستقراً لها وموضعاً لو أظهرته، وليس هذا المضمر بنفس المظهر. وذلك: إن مالأ وإن ولدأ وإن عدأ، أي إن لهم مالأ. فالذي اضمرت "لهم". ويقول الرجل للرجل: هل لكم احدٌ إن الناس البّ عليكم فيقول: إن زيداً، وإن عمراً، أي إن لنا. وقال الأعشى:

إن مَحَلًّا وإن مُرْتَحَلًا وإن في السقر ما مَضَى مَهَلًا

وتقول: إن غيرها ايلاً وشاءً كأنه قال: إن لنا غيرها ايلاً وشاءً، او عندنا غيرها ايلاً وشاءً. فالذي تضمّر هذا النحو وما أشبهه. وانتصب الابل والشاء كانتصاب فارس اذا قلت: ما في الناس مثله فارساً (أي على التمييز). ومثل ذلك قول الشاعر:

يا ليت أيام الصبّا رواجعا

فهذا كقوله: الا ماءً بارداً، كأنه قال: الا ماء لنا بارداً، وكأنه قال: يا ليت لنا أيام الصبّا، وكأنه قال: يا ليت أيام الصبا أقبلت رواجع^(١٢٤).

٢- حذف اسم لا النافية للجنس

يقول سيبويه في حذف اسم لا النافية للجنس: "وتقول: لا كالعشبة عشيةً، ولا كزيد رجلٌ، لأن الآخر هو الأول، ولأن زيداً رجلٌ، وصار لا كزيد كأنك قلت: لا احد كزيد، ثم قلت رجلٌ كما تقول:

(١٢٤) نفسه، ص ١٤١ - ١٤٢.

لا مال له قليلٌ ولا كثيرٌ، على الموضع (أي على موضع لا مال له - كقطعة من الكلام واحدة تعتبر مبتدأ). قال الشاعر امرؤ القيس:

ويلمّها في هواء الجوّ طالبةً ولا كهذا الذي في الأرض مطلوبُ

كأنه قال: ولا شيء كهذا، ورفع على ما ذكرت لك^(١٢٥). وان شئت نصبته على نصبه:

فهل في معدّ فوق ذلك مرقدًا^(١٢٦)

كأنه قال: لا أحدٌ كزيدٍ رجلاً، وحمل الرجل على زيد، كما حمل المرقد على ذلك. وان شئت نصبته على ما نصبت عليه لا مال له قليلاً ولا كثيراً (أي على النعت).

ونظير لا كزيد في حذفهم الاسم قولهم: لا عليك، وإنما يريد: لا بأس عليك، ولا شيء عليك،

ولكنه حذف لكثرة استعمالهم إياه^(١٢٧).

ويجوز ضمّ خبر "لا" إذا قدر بزمان أو مكان، ويوضح سيبويه قصده بقوله: وأعلم ان لا

وما عملت فيه في موضع ابتداء، كما أنك إذا قلت: هل من رجلٍ فالكلام بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ.

وكذلك: ما من رجلٍ، وما من شيء، والذي يبنى عليه في زمان أو في مكان، ولكنك تضمّره، وان

شئت أظهرته. وكذلك لا رجلٌ ولا شيء، إنما تريد لا رجل في مكان، لا شيء في زمان^(١٢٨).

وكذلك تضمّر "عليك" في قولهم: لا بأس "وان أظهرت فحسن"^(١٢٩).

^(١٢٥) بكلام السرياني: يعني رفع على موضع لا وما عملت فيه.

^(١٢٦) أي على التمييز.

^(١٢٧) الكتاب، ج ٢، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

^(١٢٨) نفسه، ص ٢٧٥.

^(١٢٩) نفسه، ص ٢٧٩.

٣- حذف اسم لات أو خبرها

يقول سيبويه في كلامه على "ما" التميمية والحجازية: "وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ كان معناها كمعناها، كما شبهوا بها لات في بعض المواضع، وذلك مع الحين خاصة، لا تكون لات إلا مع الحين، تضمير فيها مرفوعاً وتتصب الحين لأنه مفعول به^(١٣٠). ولم تَمَكُنْ تمكُنْها ولم تستعمل إلا مضمرأ فيها، لأنها ليست كليس في المخاطبة والخبار عن غائب، تقول: لستَ ولستَ وليسوا، وعبد الله ليس ذاهباً، فتبني على المبتدأ وتضمير فيه، ولا يكون هذا في لات، لا تقول: عبد الله لات منطلقاً ولا قومك لاتوا منطلقين"^(١٣١). ونستنتج إمكان حذف خبرها من قول سيبويه: "وزعموا أن بعضهم قرأ: "ولات حين مناص" وهي قليلة، كما قال بعضهم في قول سعد بن مالك القيسي:

مَنْ قَرَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لِأَبْرَاحَ

جعلها بمنزلة ليس، فهي بمنزلة لات في هذا الموضع في الرفع"^(١٣٢). فجعله "لا" بمنزلة "ليس" وربطها بـ"لات" يدل على أن "حين" بمنزلة اسم "لات" والخبر محذوف.

٤- الاستغناء بخبر "إن" عن مفعولي ظن

يفهم من كلام سيبويه أن المصدر المؤول من إن ومعموليها يسد مسد مفعوليها، إذ يقول: "وأما ظننت أنه منطلق فاستغني بخبر "أن"، تقول: أظن أنه فاعل كذا وكذا، فتستغني. وإنما يقتصر على هذا إذا علم أنه مستغن بخبر أن"^(١٣٣).

(١٣٠) عن السراي: "أي لأنه شبيه بالمفعول به، إذ كان خبر ليس إنما ينصب تشبيهاً بالمفعول به".

(١٣١) الكتاب، ج ١، ص ٧٥.

(١٣٢) نفسه، ص ٥٨.

(١٣٣) نفسه، ص ١٢٥ - ١٢٦.

٥ - الاضمار في بعض ادوات الاستثناء

وهي "لا يكون" و"ليس" و"عدا" و"وخلأ"، يقول سيبويه في "لا يكون" و"ليس": "فاذا جاءتا وفيهما معنى الاستثناء فان فيهما اضماراً، على هذا وقع فيهما معنى الاستثناء، كما انه لا يقع معنى النهي في حسبك الا ان يكون مبتدأ. وذلك قولك: ما اتاني القومُ ليس زيداً، واتوني لا يكون زيداً، وما اتاني احدٌ لا يكون زيداً، كأنه حين قال: اتوني، صار المخاطبُ عنده قد وقع في خلده ان بعض الآتين زيداً، حتى كأنه قال: بعضهم زيداً، فكأنه قال: ليس بعضهم زيداً. وترك اظهار بعض استثناءً، كما ترك الاظهار في لات حين^(١٣٤). وفي "عدا" و"خلا" اضماراً كما كان في "ليس" و"لا يكون"، وذلك قولك: ما اتاني احدٌ خلا زيداً، واتاني القوم عدا عمراً، كأنك قلت: جاوزَ بعضهم زيداً، الا ان خلا وعدا فيهما معنى الاستثناء، ولكني ذكرتُ جاوزَ لأمثل به، وان كان لا يستعمل في هذا الموضع^(١٣٥).

٦ - حذف المستثنى استخفافاً

يقول سيبويه: "وذلك قولك: ليس غيرُ، وليس الا، كأنه قال: ليس الا ذاك وليس غيرُ ذاك، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطب ما يعني"^(١٣٦).

٧ - في الفاعل والمفعول به

أ - الفعل المبني للمجهول

يقوم المفعول به مقام الفاعل في الفعل المبني للمجهول، يقول سيبويه: "هذا باب الفاعل الذي لم يتعدّه فعله الى مفعول والمفعول الذي لم يتعدّ اليه فعل فاعل ولم يتعدّه فعله الى مفعول آخر، والفاعل والمفعول في هذا سواء، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل، لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرغته

(١٣٤) الكتاب، ج ٢، ص ٣٤٧.

(١٣٥) نفسه، ص ٣٤٨.

(١٣٦) الكتاب، ج ٢، ص ٣٤٥.

له، كما فعلت ذلك بالفاعل. فأما الفاعل الذي لا يتعداه فعله فقولك: ذهب زيدٌ وجلس عمروٌ. والمفعول الذي لم يتعده فعله ولم يتعدَّ إليه فعل فاعلٍ فقولك: ضربَ زيدٌ ويضرب عمروٌ^(١٣٧). ويضيف: "واعلم ان المفعول الذي لم يتعدَّ إليه فعل فاعل^(١٣٨) في التعدي والاختصار بمنزلة إذا تعدى إليه فعل الفاعل، لأن معناه متعدياً إليه فعل الفاعل وغير متعدٍ إليه فعله سواء. الا ترى انك تقول ضربتُ زيداً، فلا تجاوزُ هذا المفعول، وتقول ضربَ زيدٌ فلا يتعداه فعله، لأن المعنى واحد"^(١٣٩).

وفي اتساع الكلام يؤتى بنائب فاعل للفعل على اللفظ لا على المعنى، وذلك للايجاز والاختصار، يقول سيبويه "من ذلك ان تقول على قول السائل: كم صيدٌ عليه؟ وكم غير ظرف لما ذكرت لك من الاتساع والايجاز، فتقول: صيدٌ عليه يومان، وانما المعنى صيدٌ عليه الوحش في يومين، ولكنه اتسع واختصر. ولذلك ايضاً وضع السائل كم غير ظرف. ومن ذلك ان تقول: كم وُلد له؟ فيقول: ستون عاماً. فالمعنى وُلد له الأولاد ووُلد له الولد ستين عاماً، ولكنه اتسع واوجز". ويوضح كون "كم" غير ظرف فيتابع: "ومن ذلك ان تقول: كم سير عليه، وكم غير ظرف، فيقول: يوم الجمعة، ويومان. فكم ها هنا بمنزلة قوله: ما صيد عليه، وما ولد له من الدهر والأيام؟ فليس كم ظرفاً كما ان "ما" ليس بظرف"^(١٤٠).

ب- حذف الفاعل المضاف

ومن حذف الفاعل المضاف واحلال المضاف إليه محله ما جاء من كلامهم: "بنو فلان يطوهم الطريق، يريد: يطوهم اهل الطريق". ومنه "اجتمع القبيظ يريد: اجتمع الناس في القبيظ"^(١٤١).

(١٣٧) الكتاب، ج ١، ص ٣٣ - ٣٤.

(١٣٨) يعني الذي لم يسمَّ فاعله، وهو المعروف بنائب الفاعل (هامش الكتاب).

(١٣٩) الكتاب، ج ١، ص ٤٢.

(١٤٠) نفسه، ص ٢١١.

(١٤١) نفسه، ٢١٣ - ٢١٥.

ويحذف المفعول به المضاف ويحل المضاف اليه محله، يقول سيبويه: "ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جده: "واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا عليها" انما يريد: اهل القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا"^(١٤٢). ومنه قولهم "صيدنا قنوين، وانما يريد صيدنا بقنوين، أو صيدنا وحش قنوين، وانما قنوان اسم ارض"^(١٤٣).

ويستدعي هذا ذكر مواضع اخرى يحذف فيها المضاف ليحل المضاف اليه محله، كأن يحل محل الخبر مثلاً، وفي هذا يقول سيبويه: "وتقول اذا نظرت في الكتاب: هذا عمرو، وانما المعنى هذا اسم عمرو وهذا ذكر عمرو، ونحو هذا، الا ان هذا يجوز على سعة الكلام كما تقول: جاءت القرية. وان شئت قلت: هذه عمرو، أي هذه الكلمة اسم عمرو"^(١٤٤). وفي موضع آخر يذكر قولهم: "هذه الظهر او العصر او المغرب"، انما يريد صلاة هذا الوقت. وقال الخطيب:

وشرُّ المنايا مَيَّتَ بين اَهله كهَلِكِ الفتى قد اسلمَ الحى حاضِرُه

يريد: منية ميت...". ويحذف المجرور المضاف ليقوم المضاف اليه مقامه، يقول: "وقال النابغة الجعدي:

وكيف توأصِلُ مَنْ أُصِبحَت خِلالته كَأبي مَرَحَب

يريد كخاللة ابي مرحب"^(١٤٥).

(١٤٢) نفسه، ص ٢١٢.

(١٤٣) نفسه، ص ٢١٣.

(١٤٤) الكتاب، ج ٣، ص ٢٦٩.

(١٤٥) الكتاب، ج ١، ص ٢١٥.

ج- في التنازع

يقول سيبويه في باب المسند والمسند اليه: "وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدأ. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله اخوك وهذا اخوك. ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء"^(١٤٦).

فكما نرى لا بد للفعل من فاعل ليتم الكلام من مسند ومسند اليه، فكيف يبرر سيبويه تنازع فعلين على فاعل واحد، او كما يسمى هذا الباب "باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله الذي يفعل به وما كان نحو ذلك". "وهو قولك": يتابع سيبويه، "ضربتُ وضربني زيداً وضربني وضربتُ زيداً، تحمل الاسم على الفعل الذي يليه. فالعامل في اللفظ احد الفعلين واما في المعنى فقد يعلم ان الأول قد وقع الا انه لا يعمل في اسم واحدٍ نصبٍ ورفعٍ"^(١٤٧).

وكذلك تقول ضربوني وضربت قومك، اذا عملت الآخر فلا بد في الأول من ضمير الفاعل لنلا يخلو من فاعل. وانما قلت: ضربتُ وضربني قومك فلم تجعل في الأول الهاء والميم، لأن الفعل قد يكون بغير مفعول ولا يكون الفعل بغير فاعل"^(١٤٨).

وينتج عن هذا اضممار المفعول به كما يقول الفرزدق:

ولكنَّ نصفاً لو سببتُ وسبَّني بنو عبد شمس من مُنافٍ وهاشم

وكما قال رجل باهلة:

ولقد أرى تغنى به سيفانةُ تُصبي الحليم ومثلها اصباهُ

ويعلق سيبويه قائلاً: "الفعل الأول في كل هذا مُعمل في المعنى وغير معمل في اللفظ، والآخر معمل

في اللفظ والمعنى"^(١٤٩).

^(١٤٦) نفسه، ص ٢١٥ - ٢١٦.

^(١٤٧) نفسه، ص ٧٣ - ٧٤.

^(١٤٨) نفسه، ص ٧٩.

^(١٤٩) نفسه، ص ٧٧.

ولكن هذا لا ينفي امكانية اضممار الفاعل كما في الشاهد التالي لطفيال الغنوي:

وَكُمْتَا مُدْمَاةً كَأَن مَّتُونَهَا جرى فوقها واستشعرت لونَ مُذْهَبِ

والظاهر في هذا ان مبدأ سيبويه اعمال الفعل الثاني الأقرب الى المعمول. فيمكن على هذا

الأساس ان نقول ان اضممار الفاعل او المفعول به ممكن في التنازع.

٨- حذف جواب الشرط

قد يحذف جواب الشرط اذا علم المخاطب غاية الشرط دون الحاجة الى النص على الجواب

يقول سيبويه: "وسألت الخليل عن قوله جل ذكره: "حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها" اين جوابها؟ وعن

قوله جل وعلا: "ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب"، "ولو ترى اذ وقفوا على النار" فقال: ان

العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلم المخبر لأي شيء وضع هذا الكلام^(١٥٠).

(١٥٠) الكتاب، ج ٣، ص ١٠٣.

اضمار الحروف

١- اضمار "ان" الناصبة

تنصب بعض الحروف الفعل المضارع باضمار "ان" ومنها "لام التعليل" و"حتى" لأنهما تعملان في الأسماء الجر، يقول سيبويه في باب الحروف التي تضمير فيها ان: "وذلك اللام التي في قولك جئتكَ لتفعل، وحتى، وذلك قولك: حتى تفعل ذلك، فانما انتصب هذا بأن، وان ههنا مضمرة، ولو لم تضمرها لكان الكلام محالاً، لأن اللام وحتى انما يعملان في الأسماء فيجران، وليستا من الحروف التي تضاف الى الأفعال. فاذا اضمرت "ان" حسن الكلام لأن ان وتفعل بمنزلة اسم واحد... واذا قلت: اخشى ان تفعل فكأنك قلت: اخشى ففعلك. افلا ترى أن أن تفعل بمنزلة الفعل، فلما اضمرت أن كنت قد وضعت هذين الحرفين مواضعهما، لأنهما لا يعملان الا في الأسماء ولا يضافان الا اليها، وان وتفعل بمنزلة الفعل"^(١٥١). فاختصاص اللام وحتى بالأسماء يحتم نصب الفعل المضارع بعدهما بأن مضمرة لتأويل مصدر تعملان فيه.

واما بالنسبة لـ"كي" فيقول ان من العرب من يجعلها بمنزلة حتى "وذلك انهم يقولون: كيّمه في الاستفهام، فيعملونها في الأسماء... فمن قال كيّمه فانه يضمّر ان بعدها، اما من ادخل عليها اللام ولم يكن من كلامه كيّمه فانها عنده بمنزلة ان، وتدخل عليها اللام كما تدخل على ان. ومن قال كيّمه جعلها بمنزلة اللام"^(١٥٢). و"ان" لا تظهر بعد حتى وكي لأن هذين الحرفين لا يضافان الى فعل ولأنهما ليس مما يعمل في الفعل "وان الفعل لا يحسن بعدهما الا ان يحمل على ان"^(١٥٣). اما لام التعليل فجازز اظهار "ان" بعدها او عدمه. واما لام الجحود فلا يجوز فيها اظهار ان. ويوضح سيبويه

(١٥١) نفسه، ص ٥ - ٦.

(١٥٢) نفسه، ص ٦. ويعلق السرياني على قوله "ومن قال كيّمه جعلها بمنزلة اللام"، بقوله: "يعني انها تكون حارة".

(١٥٣) نفسه، ص ٧.

هذا بقوله: "وذلك: ما كان ليفعل، فصارت ان هنا بمنزلة الفعل في قولك: اياك وزيداً، وكأنك اذا مئت قلت: ما كان زيداً لأن يفعل، أي ما كان زيداً لهذا الفعل، فهذا بمنزلة". أي ان "ان" مضمرة هنا كما اضمر الفعل في التحذير في مثل "اياك وزيداً" حيث صار التلظ بـ "اياك" بدلاً من لفظ الفعل، فاللام "صارت بدلاً من اللفظ بأن" (١٥٤).

ويذكر سيبويه قول بعضهم من "ان الخليل قال: ان مضمرة بعد اذن". ويرد سيبويه هذا بقوله: "ولو كانت مما يضم بعد ان فكانت بمنزلة اللام وحتى لأضمرتها اذا قلت عبد الله اذن يأتيك، فكان ينبغي ان تنصب اذن يأتيك لأن المعنى واحد، ولم يغير فيه المعنى الذي كان في قوله: اذن يأتيك عبد الله، كما يتغير المعنى في حتى في الرفع والنصب" (١٥٥). لأن اذن تعمل عنده اذا تصدرت وكانت جواباً حيث يقول: "اعلم ان اذن اذا كانت جواباً وكانت مبتدأة عملت في الفعل عمل ارى في الاسم اذا كانت مبتدأة. وذلك قولك: اذن اجيبك" (١٥٦).

وتضم "ان" بعد الفاء وهي الفاء السببية، ويقول سيبويه: "اعلم ان ما انتصب في باب الفاء ينتصب على اضمار ان، وما لم ينتصب فانه يشرك الفعل الأول فيما دخل فيه، او يكون في موضع مبتدأ او مبني على مبتدأ او موضع اسم مما سوى ذلك" (١٥٧). وهو يشرح ويحل بقوله: "تقول لا تأتي فتحدثني، لم ترد ان تدخل الآخر فيما دخل فيه الأول فتقول: لا تأتيني ولا تحدثني، ولكنك لما حولت المعنى عن ذلك تحول الى الاسم، كأنك قلت: ليس يكون منك اتيان فحديث، فلما اردت ذلك استحال ان تضم الفعل الى الاسم فاضمروا ان، لأن ان مع الفعل بمنزلة الاسم، فلما نوا ان يكون

(١٥٤) نفسه.

(١٥٥) نفسه، ص ١٦.

(١٥٦) نفسه، ص ١٢.

(١٥٧) نفسه، ص ٢٨.

الأول بمنزلة قولهم: لم يكن أتيان استحالوا ان يضموا الفعل اليه، فلما اضمروا ان حسن، لأنه مع الفعل بمنزلة الاسم^(١٥٨) أي بتأول مصدر.

والنصب بعد فاء السببية يكون مع النفي كما في لا تأتيني فتحدثني، او مع الطلب مثل: انتني فأحدثك ومنه العرض مثل: الا ماء فأشربيه، ومنه قول امية بن ابي الصلت:

الا رسول لنا منّا فيخبرنا ما بعدُ غايتنا من رأس مُجرانا

ومنه التمني مثل: ليته عندنا فيحدثنا^(١٥٩) ومنه النهي: لا تدن منه فيأكلك^(١٦٠).

ومما يضم بعد "ان" الناصبة واو المعية، يقول سيبويه: "اعلم ان الواو ينتصب ما بعدها في غير الواجب من حيث انتصب ما بعد الفاء"^(١٦١). أي بشروط النصب بعد الفاء من النفي والطلب. ويتابع في نفس الموضوع: "واعلم ان الواو وان جرت هذا المجرى فان معناها ومعنى الفاء مختلفان. الا ترى الأخطل قال:

لا تته عن خلقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك اذا فعلت عظيم

فلو دخلت الفاء ها هنا لأفسدت المعنى، وانما اراد لا يجتمعنّ النهي والايان، فصار تأتي على اضمار ان". ومن النصب على النفي يورد سيبويه قوله عز وجل: "ولمّا يعلم اللّهُ الذين جاهدوا منكم ويعلم الصّابرين"^(١٦٢). ولا يجوز عطف الفعل على الاسم لذلك نصب هذا البيت:

للبس عباةٍ وتقرّ عيني أحبّ اليّ من لبسِ الشّفوفِ

ويخرجه قائلاً: "لما لم يستقم ان تحمل "وتقر" وهو فعل على لبس وهو اسم، لما ضمته الى الاسم، وجعلت احب لهما ولم ترد قطعه، لم يكن بد من اضمار ان"^(١٦٣).

(١٥٨) المصدر نفسه.

(١٥٩) الأمثلة في الصفحات: ٢٨ ، ٤١ ، ٣٣ ، من الجزء الثالث وعلى التوالي.

(١٦٠) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(١٦١) المصدر نفسه، ص ٤١.

(١٦٢) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(١٦٣) المصدر نفسه، ص ٤٦.

والأمر مع "أو" في اضممار "أن" بعدها كالأمر مع الفاء والواو والتعليل هو نفسه أي عطف اسم على اسم، يقول سيبويه: "اعلم أن ما انتصب بعد أو فإنه ينتصب على اضممار أن كما انتصب في الفاء والواو على اضممارها، ولا يستعمل اظهارها كما لم يستعمل في الفاء والواو، والتمثيل ها هنا مثله ثم. تقول اذا قال لألزمك أو تعطيني، كأنه يقول: ليكوننَّ للزوم أو ان تعطيني"^(١٦٤).

ومعنى ما انتصب بعد " أو " على " إلا أن ". قال امرؤ القيس:

فقلت له لا تبك عينك انما نحاولُ ملكاً أو نموت فنعدرا

والقوافي منصوبة، فالتمثيل على ما ذكرت لك، والمعنى على إلا أن نموت فنعدرا^(١٦٥).

ويورد في مكان آخر شاهداً آخر لزياد الأعجم:

وكننتُ اذا غمزتُ قناة قوم كسرتُ كعوبها أو تستقيما

ويقول: معناه إلا أن.

وقد يضمم الشاعر "أن" مضطراً، يقول سيبويه في بيت عامر بن جوين الطائفي:

فلم ان مثلها خباسةً واحداً ونهنتُ نفسي بعدما كدتُ اقلعةً

فحملوه على ان، لأن الشعراء قد يستعملون ان ههنا مضطرين كثيراً^(١٦٦).

٢- اضممار لام الأمر

يقول سيبويه: "والجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء، فليس للاسم في الجزم نصيب،

وليس للفعل في الجر نصيب، فمن ثم لم يضمروا الجازم كما لم يضمروا الجار"^(١٦٧). إلا ان هذا قد

(١٦٤) المصدر نفسه، ص ٤٦.

(١٦٥) المصدر نفسه ص ٤٧.

(١٦٦) الكتاب، ج ١، ص ٣٠٧.

(١٦٧) الكتاب، ج ٣، ص ٩.

يجوز في الشعر مع لام الأمر ويبرر سيبويه هذا قائلاً: "واعلم ان هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر وتعمل مضمرة، كأنهم شبهوها بأن اذا عملوها مضمرة. وقال الشاعر:

محمّدٌ تُفدّ نفسك كلُّ نفسٍ اذا ما خفت من شيء تبالا

وانما اراد: لتفد. وقال متمم بن نويرة:

على مثل اصحاب البعوضة فاخمّشي لك الويل حُرّ الوجه اوبيك من بكى

اراد: لبيك. وقال احيحة بن الجلاح:

فمن نال الغنى فليصطنعه صنيعته ويجهد كلَّ جهد^(١٦٨)

ولو ان البيت الأخير يمكن تخريجه على العطف على المجزوم الأول "فليصطنعه".

٣- اضمار إن في جواب الأمر

يعقد سيبويه باباً يسمه بـ "هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل اذا كان جواباً لأمرٍ او نهي او استفهام او تمن او عرض"^(١٦٩) ويمثل لما انجزم بالأمر بـ: انتني آتِك. ولما انجزم بالنهي بـ: لا تفعل يكن خيراً لك. ولما انجزم في الاستفهام بـ: الا تأتيني احدتك؟ واين تكون ازرك؟ ولما انجزم في التمني بـ: الا ماء اشربه، وليته عندنا يحدثنا. ولما انجزم بالعرض بـ: الا تنزل تصب خيراً. ويقول: "وانما انجزم هذا الجواب كما انجزم جواب إن تأتني، بان تأتني، لأنهم جعلوه معلقاً بالأول غير مستغنٍ عنه اذا ارادوا الجزاء، كما إن تأتني غير مستغنية عن آتِك. وزعم الخليل: ان هذه الأوائل كلها فيها معنى إن، فلذلك انجزم الجواب، لأنه اذا قال انتني آتِك فان معنى كلامه ان يكن منك اتيان آتِك، واذا قال: اين بيتك ازرك، فكأنه قال ان اعلم مكان بيتك ازرك..."^(١٧٠)

(١٦٨) نفسه، ص ٨ - ٩.

(١٦٩) الكتاب، ج ٣، ص ٩٣.

(١٧٠) نفسه، ص ٩٣ - ٩٤.

ويورد في الموضوع نفسه، ما جاء في القرآن من قوله عز وجل: " هل أذُلكم على تجارة تتجكم من عذاب اليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون" ويعلق قائلاً: "قلما انقضت الآية قال: "يغفر لكم" ومن شواهد قول الشاعر:

الا تنتهي عنا ملوك وتنتي محارمنا لا يبؤ الدم بالدم

(جزم "يبؤ" على جواب ما تضمنه "الا تنتهي" من معنى الأمر، والتقدير: انتهوا عنا، أي ان انتهت عنا)^(١٧١).

٤- اضمار حروف الجر

الأصل في حروف الجرّ ألا تُضمَرَ لأنها مختصة بالأسماء فقد قال سيبويه: "والجزم في الأفعال نظير الجرّ في الأسماء، فليس للاسم من الجزم نصيب، وليس للفعل في الجرّ نصيب، فمن ثم لم يُضمروا الجازم كما لم يضمروا الجار"^(١٧٢) وفي حديثه عن الأفعال التي لا تصل إلا بحرف جر يقول: "ولا يجوز أن تضمراً فعلاً لا يصل إلا بحرف جرّ، لأن حرف الجرّ لا يُضمَر"^(١٧٣). ولكنه يذكر زعم يونس من أن من العرب من يقول: إن لا صالح فطالح، على: إن لا أكن مررت بصالح فطالح، ويقول: "وهذا قبيح ضعيف، لأنك تضمّر بعد إن لا فعلاً آخر فيه حذف غير الذي تضمّر بعد إن لا في قولك: إن لا يكن صالحاً فطالح. ولا يجوز أن يُضمَر الجار، ولكنهم لما ذكروه في أول كلامهم شبهوه بغيره من الفعل... ويتابع: "ومن ثمّ قال يونس: امرر على أيهم أفضل إن زيد وإن عمرو. يعني إن مررت بزيد أو مررت بعمرو"^(١٧٤). ومن هذا القبيل، أي حذف الجار مع بقاء

(١٧١) المصدر نفسه، ص ٩٥، تعليق عبد السلام هارون.

(١٧٢) نفسه، ج ٣، ص ٩.

(١٧٣) نفسه، ج ١، ص ٤٩.

(١٧٤) الكتاب، ج ١، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

عمله، يقول في مثل " و أتني بدابة ولو حماراً" أنك "لو قلت: ولو حمارٍ، فجررت كان بمنزلته في إن. ومثله قول بعضهم إذا قلت : جنتك بدرهم: فهلاً ديناراً" (١٧٥) .

وقدر الخليل حذف من بعد كم الاستفهامية بعد أن سأله سيويوه عن قوله: على كم جذع بيتك مبني؟ "فقال القياسُ النصبُ وهو قولُ عامّة الناس. فأما الذين جروا فإنهم أرادوا معنى من، ولكنهم حذفوها ههنا تخفيفاً على اللسان، وصارت على عوضاً منها" (١٧٦) . وقد ورد زعمُ يونس أنه سمع الفرزدق ينشد (١٧٧) :

كم عمّة لك يا جرير وخالةٍ فدعاءً قد حلبت عليّ عشاري

وعلق سيويوه بأن بعضهم قد قال "إن كم على كل حال منونة، ولكن الذين جروا في الخبر أضمروا من كما جاز لهم أن يضمروا رب" (١٧٨) . وذلك تعليقاً على إعمال ناس من العرب "كم" في ما بعدها من الخبر كما يعملونها في الاستفهام (أي على نصب تمييز).

وقد تحذف اللام والياء ويبقى عملهما، فقد زعم الخليل أن قولهم: لاه أبوك ولقيته أمس، إنما هو على: لله أبوك، ولقيته بالأمس، ولكنهم حذفوا الجارَ والألف واللام تخفيفاً على اللسان" (١٧٩) . وقد تحذف الباء الزائدة في خبر ليس ويبقى عملها، وشاهد ذلك قول الفرزدق: (١٨٠)

مشائيمُ ليسوا مصلحين عشيّةً ولا ناعبٍ إلا بيبينٍ غرابها

حيث جرّ "ناعب" على معنى تقدير الباء الزائدة في "مصلحين" في النية. ومثله قول زهير:

(١٧٥) نفسه، ج ١، ص ٢٦٩.

(١٧٦) نفسه، ج ٢، ص ١٦٠.

(١٧٧) نفسه، ص ٧٢.

(١٧٨) نفسه، ص ١٦٢.

(١٧٩) نفسه، ص ١٦٢ - ١٦٣. أما سيويوه فيقول: "ولا يقوى قول الخليل في أمس، لأنك تقول ذهب أمس بما فيه". ص ١٦٤.

(١٨٠) الكتاب، ج ٣، ص ٢٩.

بدا لي أنني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جانياً

ويعلق سيبويه: لما كان الأول تستعمل فيه الباء ولا تغيير المعنى، وكانت مما يلزم الأول

نووها في الحرف الآخر، حتى كأنهم قد تكلموا بها في الأول^(١٨١).

ويفسر سيبويه قوله سبحانه وتعالى " فدعا ربه أنني مغلوب فانتصر " وكذلك قوله " ولقد

أرسلنا نوحاً إلى قومه أنني لكم نذير مبين " على أنه إنما أراد بأني مغلوب، وبأني لكم نذير مبين، ولكنه

حذف الباء^(١٨٢).

وتحذف لام التعليل قبل أن المصدرية الناصبة، ومنه قول الفرزدق:

وما زرت سلمى أن تكون حبيبةً إليّ ولا دينٍ بها أنا طالبةُ

يقول سيبويه: " جره لانه صار كأنه قال: لأن^(١٨٣) . ومثل هذا قوله عز وجل " أن تضلَّ

إحداهما"^(١٨٤) .

وتحذف اللام كذلك قبل "أن، يقول سيبويه: "سألت الخليل عن قوله جل ذكره " وأن هذه أمتكم

أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون"، فقال إنما هو على حذف اللام كأنه قال: ولأن هذه أمتكم..."^(١٨٥)

ويوضح أن بيت الفرزدق التالي ينشد على وجهين على إرادة اللام، وعلى الابتداء، وهو:

منعت تميماً منك أنني أنا ابنها وشاعرها المعروف عند المواسم

ويقول: " وسمعنا من العرب من يقول: إني أنا ابنها"^(١٨٦) .

وتحذف اللام من المصدر، وعلى هذا قول الشاعر:

وأعرض عن ذنب اللئيم تكراً وأغفر عوراء الكريم ادخاره

^(١٨١) نفسه، ص ٢٩ .

^(١٨٢) نفسه، ص ١٢٧ .

^(١٨٣) نفسه، ص ٢٩ .

^(١٨٤) نفسه، ص ١٥٤ .

^(١٨٥) نفسه، ص ١٢٧ .

^(١٨٦) نفسه، ص ١٢٨ .

أي : لا دَخَارَه (١٨٧) .

وقد تحذف واو القسم، ويقول سيبويه: "واعلم أنك إذا حذف من المحلوف به حرف الجرّ نصبته ... وذلك قولك: الله لأفعلن" (١٨٨) ولكنه يضيف: "ومن العرب من يقول: الله لأفعلن، وذلك أنه أراد حرف الجرّ، وإياه نوى، فجاز حيث كثر في كلامهم، وحذفوه تخفيفاً وهم ينوونه" (١٨٩) . ويقول: "وإذا قلت لا هالله لا أفعل لم يكن إلا الجرّ، وذلك أنه يريد لا والله، ولكنه صار "ها" عوضاً من اللفظ بالحرف الذي يجرّ وعاقبه. ومثل ذلك: الله لتفعلن؟ إذا استفهمت، أضمرنا الحرف الذي يجرّ وحذفوا تخفيفاً على اللسان، وصارت ألف الاستفهام بدلاً منه في اللفظ معاقباً" (١٩٠) . وتحذف واو القسم وتصير ألف اللام عوضاً عنها، يقول سيبويه: "وقد تعاقب ألف اللام حرف القسم كما عاقبته ألف الاستفهام وها، فتظهر في ذلك الموضع" (١٩١) الذي يسقط في جميع ما هو مثله للمعاقبة، وذلك قولك أفألله لتفعلن. ألا ترى أنك إن قلت: أفوالله، لم تثبت" (١٩٢) .

وتحذف واو القسم بعد نعم وإي، يقول سيبويه: "وتقول نعم الله لأفعلن، وإي الله لأفعلن؛ لأنهما ليسا ببدل، ألا ترى أنك تقول: إي والله ونعم والله" (١٩٣) . أي أن نعم وإي ليستا معاقبتين للواو ولا بدلاً منها مثل ألف اللام لذلك فالهمزة همزة وصل ولذلك يتحرك آخر نعم وإي منعاً لالتقاء الساكنين.

وتحذف رُبّ بعد الواو وأمثلتها عند سيبويه كثيرة، وهي أقوى في الاضمار لكثرتها في كلام

العرب، ومن ذلك قولهم:

(١٨٧) نفسه، ص ١٢٦ .

(١٨٨) نفسه، ص ٤٩٧ .

(١٨٩) نفسه، ص ٤٩٨ .

(١٩٠) الكتاب، ج ٢، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(١٩١) أي تصير همزة قطع.

(١٩٢) الكتاب، ج ٣، ص ٥٠٠ .

(١٩٣) نفسه، ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

وبلدة ليس بها أنيس^(١٩٤)

ومثله قول الشاعر العنبري:

وجذاء ما يرجى بها ذو قرابةٍ لعطف وما يخشى السُماةَ ربيها

وقال امرؤ القيس:

ومثلك بكرةً قد طرقتُ وثيباً فألهيتها عن ذي تمانمٍ مُغِيلِ

وقال سيبويه: "أي رُبَّ مثلك"^(١٩٥). وقد ورد هذا البيت في ديوان الشاعر، وهو من معلقة المشهورة، وكذلك في جمهرة أشعار العرب وفي مغني اللبيب بالفاء: "فمثلك" واستدل به في المغني على إضمار ربّ بعدها.

٥ - حذف حرف النداء

يذكر سيبويه الحروف التي ينبه بها المدعو، وهي: يا وأيا وهيا وأي والألف، ويمثل فيقول: "حو قولك: أحار بن عمرو"^(١٩٦). ثم يقول: "وإن شئت حذفتهن كلهن استغناءً كقولك: حار بن كعب، وذلك أنه جعلهم بمنزلة من هو مقبل عليه بحضرته يخاطبه"، ويتابع: "وقد يجوز حذف يا من النكرة في الشعر، وقال العجاج:

جاري لا تستكري عذيري

يريد: يا جارية. وقال في مثل: افتد مخنوق، وأصبح ليل، وأطرق كرا. وليس هذا بكثير ولا قوي"^(١٩٧). يقصد حذف "يا" قبل المنادى الذي كان أصله نكرة لا حذف حرف النداء قبل المعرفة.

(١٩٤) الكتاب، ج ١، ص ٢٦٣.

(١٩٥) الكتاب، ج ٢، ص ١٦٣ - ١٦٤.

(١٩٦) الكتاب، ج ٣، ص ٢٢٩.

(١٩٧) نفسه، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

الفصل الثاني

الأسس النظرية لفكرة التقدير

لا بد لنا قبل الدخول في منهج سيويه في قضية التقدير من ان نمهدّ لذلك بتحديد بعض الأمور التي تتعلق بدراسة النحو، ومن ذلك المنهج الوصفي والمنهج المعياري، ثم نعرّج على بعض اسهامات تشومسكي ونظريته في النحو التحويلي، وبعد ذلك نختم تمهيدنا هذا بالنظر الى قضية العامل في النحو كما رأها سيويه. وهذا التمهيد ضروري لأن ايضاحنا لمنهج سيويه في التقدير يعتمد، في كثير من جوانبه، على وضوح رؤيتنا لهذه القضايا. ونمرّ مروراً سريعاً على قضية اسمية الجملة وفعاليتها. وكل هذا يتعلق تعلقاً مباشراً بمنهج سيويه في قضية التقدير، وفي اسلوب استخدامه له كما سيّبين معنا بعد ذلك خلال درسنا لفهمه للتقدير وشروطه من خلال امثلة ونماذج نقدمها.

المنهج الوصفي

لنبدأ بالكلام على المنهج الوصفي منطلقين من التعريف الموجود في "معجم المصطلحات اللغوية". يقول تحت مادة "وصفية" descriptivism : منهج في الدراسة اللغوية والنحوية قوامه الأساسي الوصف". ثم يحيل على مادة "تحو وصفي" descriptive grammar فيعرفه كالتالي: "تحو يُعنى بوصف الاستعمال اللغوي للغة ما أو لهجة ما في زمن معيّن - حاضر أو ماضٍ - معتمداً على الملاحظة والموضوعية ومجانباً للمقارنة والتقنين."^(١) ونلاحظ هنا ان الوصف للغة أو اللهجة يركّز عليها في "زمن معين" أي في فترة محددة، بينما كان "النحويون الشباب Junggrammatiker"^(٢) "قد قرروا ان الطريقة الوحيدة لدراسة اللغة هي دراستها تاريخياً diachronically"^(٣). وقد عارض دوسوسير de Saussure هذا الاتجاه وقرر ان اللغة ينبغي ان تُدرس في مرحلة خاصة او في "حالة للغة" état de langue أي تُدرس حالة استقرارها في بيئة مكانية وزمانية محددة، واتخذ لذلك مصطلح Synchronic للدلالة على هذا المنهج، وهو الذي ساد علم اللغة منذ ذلك الحين. ان دراسة اللغة في حال استقرارها هي ما يُعرف الآن بالمنهج "الوصفي"^(٤) وقد فرّق دوسوسير بين ثلاثة مصطلحات هي la parole : وهو يمثل كلام الفرد، ولذلك ليس "واقعة اجتماعية"، والمصطلح الثاني هو la langage : وهو اللغة بمعناها العام، انها مجموع الكلام الفردي la parole والقواعد العامة للغة الانسانية وهي (اللغة) ايضاً ليست واقعة اجتماعية لأنها تتضمن العوامل الفردية المنسوبة الى المتكلمين الأفراد. اما المصطلح الثالث فقد ورد معنا وهو la langue وهو ما يراه دو سوسير صالحاً للدراسة العلمية، وقد حدده في هذه الصيغة^(٥) :

(١) رمزي بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، ص ١٤٤.

(٢) هو اسم اطلق عليهم سخرية منهم من قبل زملائهم الأكبر سناً، المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

(٣) عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص ٢٩.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) Francis Dinneen, Introduction to General Linguistics, Holt, Rinehart & Winston, ١٩٦٧, p. ١٩٧

La Langue = le langage minus la parole

فالكلام الفردي la parole يقوم على عنصر الاختيار وهو ما لا يمكن التنبؤ به لذلك لا يمكن دراسته دراسة "علمية". والمصطلح الثاني le langage لا يمثل كذلك واقعة اجتماعية "تقية" لأنه يضم الى الجوانب الاجتماعية جوانب فردية. اذن فان la langue هي وحدها "الواقعة الاجتماعية" لأنها عامة داخل المجتمع وهي تمارس "قرضاً" على المتكلمين الأفراد. وهي لا توجد كاملة عند كل فرد، فهي عنده "نظام من القيم التقية".^(١) ويعلق د. عبده الراجحي قائلاً: "والحق ان هذا التفسير يؤدي ان تكون " la langue تجريباً، ولكن دو سوسير كان يدرك ذلك، بل كان يرى هذا التجريد اصلح شيء للدراسة العلمية".^(٢) ومن اساس دراسة اللغة عند دو سوسير ما يسميه "العلامة اللغوية" Linguistic sign وهي عنده تتشكل من "المفهوم" او "التصور Concept-signifié" مع "الصورة السمعية" . Sound- image - signifiant "فالتصور Signifié" هو شكل الشجرة مثلاً و"الصورة السمعية signifiant" هو الكلمة، ولكن "العلامة اللغوية Sign" هي مجموعهما، أي ان كلمة "شجرة" تفهم من نطقها والصورة السمعية معاً. وهذه "العلامة اللغوية" عُرْفية arbitrary^(٣).

ومن رواد المنهج الوصفي ادوارد سايبير الذي قرر اولاً ان "الأشكال" اللغوية ينبغي ان تُدرس في ذاتها، أي باعتبارها اشكالاً، وليس على اساس المعاني التي نتصورها ابتداءً. وقد أكد على ان المنهج العلمي يرفض دراسة اللغة في ضوء تصورات سابقة، او على ضوء "انماط" من لغات اخرى. فالدراسة ينبغي ان تكون من واقع اللغة نفسها، ومن ثم رفض التقسيم التقليدي "لأقسام الكلام" ورفض اعتبارها "عالميات لغوية"، ورآها تصنيفات غير صحيحة وليست وحدات "وظيفية طبيعية وعلى الباحث ان يدرك

(١) Ibid. p. ١٩٨

(٢) عبده الراجحي، المرجع المذكور، ص ٢٨.

(٣) Ferdinand de Saussure, Course in General Linguistics, tr. by Wade Baskin, ١٩٦٦, p. ٦٦-٧٠

ان لكل لغة اقسامها الخاصة ولها تراكيبيها المتميزة".^(٩) ورغم انه لم يغفل المعنى الا ان تركيزه كان على الشكل. يقول "سايبير" في كتابه "اللغة" (ص ٣٤) في معرض حديثه عن احساس المتكلم والسامع بالكلمة: "ان الكلمة هي واحدة من اصغر "القطع bits" التي تعبر عن المعنى المعزول التي تتحلل الجملة اليه" والجملة عنده (ص ٣٥) هي : "التعبير اللغوي عن القضية" it is the linguistic expression of a proposition.

ومن الوصفيين ليونارد بلومفيلد الذي حدّد دراسة اللغة فقرر ان الدراسات القديمة قبل المدرسة الفيلولوجية التاريخية - دراسات غير علمية لأنها "استدلالية" و "معيارية". وأكد ان الدرس الوحيد للغة ينبغي ان يكون وصفيًا "استقرائياً"^(١٠) وهو، ايضاً، يرى ان ما نظنه "عالميات لغوية" مثل اقسام الكلام parts of speech والفعل والاسم قد تكون في لغات لكنها مقلّدة في لغات اخرى^(١١) وقد تأثر بلومفيلد بالمنهج السلوكي في علم النفس وطبقه على اللغة رافضاً طريقة التناول العقلية mentalistic القديمة^(١٢)، اذ يرى انها تُرجع السلوك الانساني الى تدخّل عنصر غير فيزيقي non-physical (الروح او الارادة او العقل)، وهي تختلف تماماً عن الأشياء المادية، لذلك فهي لا تتبع "انماط الاطراد" patterns of succession (العلة والمعلول Cause and effect) في العالم المادي، لذلك لا نستطيع ان نتنبأ بسلوكها^(١٣) أي انها، كما يعبر د. الراجحي "لا تخضع للوصف العلمي"^(١٤). لذلك يأخذ "بلومفيلد بنظرية يسميها النظرية المادية materialistic أو الآلية mechanistic وهي التي يراها صالحة لدراسة السلوك الانساني، لأن التصرفات

^(٩) Edward Sapir, Language, Harcourt, Brace & World, ١٩٤٩, p. ١١٩

^(١٠) Leonard Bloomfield, Language, Holt, Rinehart & Winston, ١٩٦٥, p ٢٠

^(١١) Ibid, p. ٢٠

^(١٢) Ibid, p ٣٢

^(١٣) Ibid, p ٣٣

^(١٤) عبده الراجحي، المرجع المذكور، ص ٤٠.

الانسانية جزء من "اطراد العلة والمعلول". وكان قد مهّد له بالمثل عن رغبة "جيل" Jill في اكل التفاحة بعد ان رأتها وطلبت الى "جاك" Jack ان يأتيها بها، ليعبر عن الاتجاه السلوكي "بالمنبه" Stimulus والاستجابة البديلة substitute response عند "جيل" واستجابة "جاك" بعد تلقّي الرغبة من "جيل" وهو ما يعتبر استجابة بديلة substitute response ويستجيب "جاك" لرغبة "جيل" في الاتيان بالتفاحة؛ وهو يعبر عن الحدث رمزاً كالتالي:

$$S \rightarrow r \dots s \rightarrow R$$

والنقاط بين (r.....s) هي الكلام او الحدث الكلامي. فحرف (S) الكبير يرمز الى المنبه الأول أي رؤية جيل للتفاحة و (r) رغبته فيها والخط المتقطع تعبيرها بالكلام عن هذه الرغبة ثم (s) الصغيرة المنبه "لجاك" متلقي الكلام و (R) استجابته له^(١٥). وهذه الطريقة في دراسة الكلام تؤدي الى نتيجة هامة عند بلومفيلد وهي ان الحدث الكلامي له معنى^(١٦). ولكنه يقرر فيما بعد في الفصل الذي كتبه عن المعنى Meaning "ان تقرير المعاني هو اضعف نقطة في دراسة اللغة، وسوف تبقى هكذا حتى تتقدم المعرفة الانسانية الى ابعد من حالتها الراهنة"^(١٧).

وهناك آخرون من الوصفيين منهم يسبرسن Otto Jespersen وعلماء مدرسة لندن تحت قيادة

فيرث J.R. Firth صاحب نظرية سياق الحال context of situation وغيرهم^(١٨).

ويشير الدكتور الراجحي الى بعض النقاط منها:

١- ان هؤلاء العلماء قد وجهوا اهتمامهم الى جعل درس اللغة "علماً مستقلاً"، بحيث تدرس اللغة في

(١٥) Bloomfield, op. cit., p. ٢٦

(١٦) Ibid. p. ٢٧

(١٧) Ibid. p. ١٤٠

(١٨) عبده الراجحي، المرجع المذكور، ص ٤٢.

ذاتها، وهذا لا يعني استبعاد الافادة من العلوم الأخرى.

٢- ان الفضل في تأصيل المنهج الوصفي يعود الى "دو سوسير" الذي دعا الى طرح دراسة اللغة في حال التغير diachrony ودراستها في حال الاستقرار (او التزامن) synchrony وان تطبيق هذا الاتجاه وجد سبيله عند سايبير وبلومفيلد.

٣- ان المنهج الوصفي مع تأكيده على عنصر المعنى في الكلام الانساني قد ركز اهتمامه على بحث الأنماط و"التراكيب الشكلية" في اللغة^(١٩).

ويأخذ الوصفون على "النحو التقليدي" كونه "ذاتياً" subjective أي ان "القواعد" تتحدد وفقاً للدارس نفسه، اما النحو الوصفي التركيبي فيقيم تحليله للغة على اساس ارتباط الظاهرة بالظواهر الأخرى وليس على اساس ارتباطها بالدارس نفسه، لهذا فهو "موضوعي" objective . كذلك يأخذ الوصفون عن "النحو التقليدي" اهتمامه بالعلّة (why) ، أي لم كان هذا هكذا ولم يكن غير ذلك، بينما يهتم النحو الوصفي بتقرير الحقائق اللغوية حسبما تدل عليها الملاحظة دون محاولة تفسيرها بتصورات غير لغوية^(٢٠).

بعد هذه النظرة السريعة على علم اللغة الوصفي في الغرب، ننتقل الى لغويينا المحدثين وتأثرهم بهذا العلم ونقدم "للنحو التقليدي" لنحائنا القدامى. وعلى رأس لغويينا الوصفيين يأتي الدكتور تمام حسان الذي يرى ان "الاستقراء والتفعيد طريقتان من طرق الوصف في دراسة اللغة، يتوسط بينهما عمل ثالث هو التقسيم، ثم تسمية كل قسم من الأقسام الناتجة...^(٢١) وهو يرى ان هذه الأمور لا تكون الا بعد جمع المادة التي تجري ملاحظتها، وان النحويين القداماء الأوائل كالخليل وسيبويه لم يُخلُوا بهذا المنهج الا في

(١٩) المصدر نفسه، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢٠) Dinneen, op. cit. p. ١٦٧ . و انظر ايضاً: عبده الراجحي، المرجع المذكور، ص ٤٦ .

(٢١) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٥٢ .

ما يختص ببعض الغلطات المنهجية الخاصة^(٢٢). ومن هذه الغلطات المنهجية عدم مراعاة العنصر الشخصي في اللغة، يقول تمام حسان: "ومن هنا أيضاً نجد الخطأ المنهجي الذي وقع فيه النحاة القدماء حيث لم يقتصر كل واحد منهم على فرد بعينه من قبيلة بعينها وإنما عمدوا الى دراسة لهجات كثيرة سُمع كل منها من افواه كثيرة في نفس الوقت فضاعت الفكرة الشخصية ومن ثم الاجتماعية في اللغة^(٢٣). ولكنه يقول في مكان آخر: "ولقد وجد امرؤ القيس وغيره من شعراء الجاهلية لغة عربية مشتركة بين القبائل في الشمال والجنوب، فقال شعره وقالوه بها. ولم تكن هذه اللغة الفصحى معروفة في العرب ما وجدها امرؤ القيس واصحابه تستحق ان يقال بها الشعر، ولعزفوا عنها الى لغة غيرها مفهومة، او الى لهجاتهم المحلية^(٢٤). والخطأ المنهجي الثاني، في رأي الدكتور حسان، هو "جعل المرحلة المختارة للدراسة واسعة المدى... وانه كان من الأولى بالنحاة ان يدرسوا لغة القرآن والحديث، ويعتبروها ممثلة لهذه المرحلة التي ظهرا فيها وكفى"^(٢٥). والخطأ المنهجي الثالث (ويمكن مقارنته بما سبق) هو ايقاف عصور الاستشهاد، يقول الدكتور حسان: "ولو ان الاستشهاد لم يقف عند حدّ على يد النحاة العرب لأمكن ان تجري دراسة اللغة على مراحل وعصور باستقراء ما يجتد من النصوص الى ايامنا هذه، ولاعتبر كل ميل غير فردي الى مخالفة القواعد السابقة تطوراً في الاستعمال اللغوي يتطلب تطوراً في النظرة الى هذه القواعد في ظل منهج وصفي لدراسة اللغة"^(٢٦). وهو يرى ان ايقاف الاستشهاد وضع الاستشهاد بكلام العرب بعد فترة معينة اعتراف من النحاة بانتهاء مرحلة وابتداء مرحلة اخرى من التطور^(٢٧).

ويمكن مناقشة الدكتور حسان في عدة امور هنا، اولها: ان الاقتصار على الأخذ من فرد بعينه

(٢٢) المصدر نفسه، ص. ١٦٤.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٨٤ - ٨٥.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٨٧.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٨٨.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ١٨٩.

من قبيلة بعينها امر غير كافٍ لإنشاء "تحو" للغة ما، وفي الحقيقة هذا المنهج لا يكفي لدراسة صوتية (فونولوجية) فكيف بدراسة تراكيب قد لا يستعمل كثيراً منها فرد واحد، وسيكون تعسفاً خلق تراكيب نحوية لم يذكرها هذا الفرد خاصةً بناءً على المنهج الوصفي الذي يؤمن به الدكتور حسان. ثم هو يقرّ بأنه كانت هناك لغة مشتركة بين القبائل في الشمال والجنوب، فلا بدّ إذاً ان تكون الفروق في اللهجات غير ذات شأن كبير.

الأمر الثاني: هل يريد الدكتور حسان ان يقرر لنا ما إذا كان من الأولى للنحاة القدماء دراسة لغة القرآن والحديث والكتفاء بهما ام انه كان عليهم الأوقوفوا الاستشهاد في عصر معين؟ ثم ما هو تقييمه للميل غير الفردي في مخالفة القواعد وهو كان قد قرر سابقاً انه كان يجب الاعتماد على فرد بعينه من قبيلة بعينها؟

الأمر الثالث: يبدو ان الدكتور حسان ينسى القرآن واهميته للأمة التي ما وحدها غير الاسلام وصار القرآن دستوراً دنيا وديناً، وبالتالي يغفل اهمية العناية بلغة القرآن والاستمرار بالعناية بها طالما الاسلام دين هذه الأمة، والا لصرنا نقرأ القرآن كما يقرأ عربيّ تعلم العبرية التوراة. اننا مع المحاولات المبكرة لضبط القرآن خرجنا بقراءات سبع وقد تكون عشراً عند البعض عدا عن القراءات الشاذة. ولا يظنّ احد ان هذا دليل على تعدد اللهجات لدى القراء، فاللهجات موجودة في القرآن وجودها دليل على لغة فصحي مشتركة. والقراءات، في جانبها النحوي، قد تبدل في المعنى او لا تبدل، لكنها، بلا شك، لا تعني لغات مفترقة، والتعبير الأصح، وربما الوحيد، هو كونها قراءات لا اكثر ولا اقل.

وقد يكون من المفيد هنا ان نذكر رأي الدكتور ابراهيم السامرائي في كتابه "في اللهجات العربية القديمة"، اذ يقول في الخاتمة: "وقد مرّ الكثير من الظواهر اللغوية التي وجدناها سائدة في القبائل الشرقية والقبائل الغربية، فهي من المواد المشتركة..... وقد يكون السبب في هذا ان العربية في تاريخها المبكر

قد اتجهت الى التوحد، وكان ذلك بسبب لغة القرآن التي لم تبق للغات القبائل الا شذرات وجدناها في القراءات التي لم تتل شيئاً من السعة والشيوع^(٢٨).

ولكي نعطي فكرة عن عمل الباحث في اللغة في رأي الدكتور تمام حسان نورد ما قرره على الباحث: يقرر د. حسان ما على الباحث في اللغة ان يراعيه في التعميد، فيقول:
يجب على الباحث اذاً ان يراعي الأمور التالية في التعميد:

١- ان القاعدة وصف لسلوك عملي معين في تركيب اللغة، ويلاحظ ان يكون هذا السلوك مطرداً حتى يُعبّر عنه بالقاعدة.

٢- ان القاعدة لهذا السبب جزء من المنهج لا جزء من اللغة.

٣- انها لا بدّ ان تتصف بالعموم ولكنها ليس من الضروري ان تتصف بالشمول، أي ان تكون عامة لا محلية.

٤- ان تكون القاعدة مختصرة قدر الطاقة، فاذا طالت فقدت عنصراً هاماً من عناصر كنياتها وفانديتها العملية.

٥- وما دامت القاعدة نتيجة من نتائج الاستقراء فمن الضروري ايراد بعض الشواهد والأمثلة التي جرى عليها الاستقراء، لتكون سنداً للقاعدة وايضاحاً لها؛ ويحسن ان تكون الشواهد والأمثلة كثيرة الى حدّ ما^(٢٩).

(٢٨) ابراهيم السامرائي، في اللهجات العربية القديمة، ص ١٧٩.

(٢٩) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٦٣.

المعيارية في اللغة

يقدم الدكتور رمزي بعلبكي في "معجم المصطلحات اللغوية" مصطلحاً آخر للمعيارية هو تقنينية (والمصطلح بالانجليزية prescriptivism) فيعرفه كالتالي: "منهج في النحو قوامه الأساسي التقنين، أي التقعيد"^(٣٠). ثم يحيل على مادة prescriptive grammar وهي في اصطلاحه "نحو تقنيني" فيعرفها كالتالي: "نحو يُعنى بالتقنين والتقعيد ويفترض نموذجاً يتّخذة مثلاً للصحة فيقيس به الاستعمال: يقبله ان واقفه ويرفضه ان خالفه"^(٣١).

ويقول مؤلفا كتاب "مدخل الى اللغة" An Introduction to Language انه منذ العصور القديمة كان هناك "صفانيون purists" ممن آمنوا ان التغيير اللغوي هو فساد وان هناك اشكالاً صحيحة يجب على كل "المتقنين ان يستعملوها في الكلام والكتابة". ومن هنا نشأ النحو التقنيني او المعيارية prescriptive grammar. ويدخل المؤلفان النحويين البصريين في القرن الثامن الميلادي في عداد المعياريين^(٣٢).

ويعطي المؤلفان مثالاً للمعياريين بالأسقف "روبرت لوث" Bishop R. Lowth الذي ألف كتاباً في النحو سنة ١٧٦٢ اعترض فيه على بعض الاستعمالات التي كانت سائدة آنذ والتي يقول المؤلفان ان كل طبقات المجتمع كانت تستعملها مثل: I don't have none: You was wrong about that ومثل: Mathilda is fatter than me. وقد قرر "لوث" Lowth ان: نفيين يصنعان توكيداً ايجابياً، ولذلك على المرء ان يقول I don't have any، وقرر انه حتى ولو كانت you بصيغة المفرد فيجب ان تُتبع بالجمع were وان (I) وليس (me)، و (He) وليس (him) و (They) وليس (them) الخ. يجب ان تُستعمل بعد than في المقارنة^(٣٣). بينما

(٣٠) رمزي بعلبكي، المرجع المذكور، ص ٣٩٥.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) Victoria Fromkin and Robert Rodman. An Introduction to Language. Holt - Saunders Int., p. ١٣

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٤.

يقول "دنين Dinneen" ان "لوث" جعل "He is taller than I" و "He is taller than me" "تتويعين" حرين free variants . ففي استعماله He is taller than I هناك محذوف مقدّر هو (am) أي ان الجملة هي: He is taller than I (am) جاعلاً "than" اداة ربط" أو "عاطفاً" conjunction، بينما حين تتبعها me فهي "مثل" جارّ preposition^(٣٤). ويقرر Fromkin و Rodman ان هذا كان يتأثره باللاتينية والنحو اللاتيني^(٣٥). وكذلك كان "لوث" قد قرر ان استعمال I had rather استعمل خاطيء نشأ من الاختصار abbreviation (I'd rather) وان الأصل هو I would rather^(٣٦).

والمفارقة هنا ان هذه التعبيرات التي قررها " لوث " كان لها تأثير دائم - كما يلاحظ Dinneen- وان بعضها يُنظر اليه اليوم على انه "منطقي خلقيا Inherently logical" "لأنه من "القياسيات الحالية" present regularities، مع ان هذه التعبيرات، في الحقيقة، هي قيد الاستعمال نتيجة لاختيار رجل واحد^(٣٧). بمعنى آخر، نستطيع ان نقول ان ما كان يمكن أن يُعدّ معيارياً صار الآن داخل في حقل الوصف، فهذه التعبيرات هي المستعملة الآن.

اما بالنسبة لبعض لغويينا المحدثين فهم يرون ان النحاة القدماء كانوا معياريين، يقول الدكتور تمام حسان " وانا المح هذه المعيارية الصارخة في كتب ابن هشام^(٣٨) وهو يقصد تغليب القاعدة على النص وجعلها قانوناً حتمياً يجب احترامه وطاعته حتى على اولئك الذين نشأوا في جحر اللغة وشبوا على استعمالها^(٣٩)".

^(٣٤) Dinneen, *op. cit.*, p. ١٦١

^(٣٥) Fromkin and Rodman, *op. cit.*, p ١٤

^(٣٦) Dinneen, *op. cit.*, p. ١٦١

^(٣٧) المصدر نفسه.

^(٣٨) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٢٤

^(٣٩) المصدر نفسه، ص ٢٣.

لكنه لا يكتفي باتهام النحاة المتأخرين بكونهم معياريين، بل يرى ان نحاة العرب الأوائل وفيهم سيبويه يقعون في مخالفات منهجية. فيؤكد ما سبق ان ذكرناه نقلاً عنه في حديثنا عن المنهج الوصفي من ان النحاة العرب الأوائل شملوا بدراستهم "مراحل متعاقبة من تاريخ اللغة العربية، تبدأ من حوالي مائة وخمسين عاماً قبل الاسلام، وتنتهي بانتهاء ما يسمونه عصر الاحتجاج؛ أي انهم يشملون ما يقرب من ثلاثة قرون من تاريخ لغة العرب"^(٤٠). ويرى ان تلك حقبة لا يمكن ان تظل اللغة فيها ثابتة على حالها. ومأخذ الدكتور حسان على النحاة العرب القدماء انهم عمدوا الى لهجات متعددة من نفس اللغة فخلطوا بينها وحاولوا ايجاد نحو عام لها جميعاً^(٤١). وهذا المأخذ يراه الدكتور مهدي المخزومي ايضاً، ويضيف اليه مأخذاً آخر هو انهم لم يستكملوا استقراراتهم قبل ان يضعوا اصولهم، وبذلك "لا يستطيع الاطمئنان الى صحة النتائج التي وصلوا اليها، ولا الى صحة المنهج الذي عقدوا عليه دراستهم"^(٤٢). ولكنه مع تخطته لهم في انهم اعتبروا اللغة العربية بما فيها من لهجات مختلفة لهجة واحدة، الا انه يرى انهم اخطأوا في انهم "عزلوا جانباً كبيراً من اللهجات واللغات، فأقصوها عن مجال البحث والدرس، فلم يعتدوا الا بما كان في كبد الصحراء من لهجات الأعراب الذين لم يجاوروا الأرياف والأمصار"^(٤٣). ولكنه بعد صفحتين يقول: "على انهم ما عتموا انهم ناقضوا أنفسهم، فاستشهدوا بشعر عدي بن زيد والكميت والطرماح وجريير والفرزدق، وهم من سكان الأمصار". ويضيف قائلاً: "واستشهدوا بأقوال الموالي، وكان الجاحظ يقول - حين عرض لذكر ابي علي عمرو بن فائد الأسواري القاص البصري المعروف -: كان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به"^(٤٤). ويذكر الى ذلك انهم استشهدوا بشعر بشار، وهو -

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٤١) المصدر نفسه.

(٤٢) مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص ٥٢ - ٥٣.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٥٣ - ٥٤.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٥٦.

مع انه مولى - لم يذق عيشة البدو، ولم يبرح الحاضرة الا قليلاً^(٤٥). ونحن نسأل ما الذي كان مطلوباً من نحائنا القدماء: ان يدرسوا لهجة واحدة أم ان يدرسوا لهجات متعددة هي في حقيقتها لغة واحدة بما فيها من مشترك جعل اصحابها قادرين على التفاهم بها رغم بعض التمايز فيما بينها؟ خاصة ان القرآن قد نزل بها وفيه تظهر احياناً مفردات وصيغ نحوية لأكثر من لهجة لكنها لم تشكل عائقاً في كون القرآن عربياً المشترك فيه هو الأعم.

النحو التحويلي - التوليدي

في عام ١٩٥٧ أصدر تشومسكي كتابه Syntactic Structures وفيه اعلن نظرية جديدة في النحو، وهي ما يعرف الآن بالنحو التحويلي - التوليدي Transformational-Generative grammar. يرى تشومسكي ان النحو يعكس سلوك المتكلم الذي يستطيع، بناءً على خبرة محدودة وعرضية مع اللغة، ان ينتج او يفهم عدداً غير محدود من الجمل الجديدة. كما يرى ان مفهوم "الصوابية النحوية" لا علاقة له بالمعنى او الدلالة. ويمثل على هذا بجملتين لا معنى لهما ولكن اي متكلم بالانجليزية سيدرك ان اولاهما فقط نحوية:

١- Colorless green ideas sleep furiously

٢- Furiously sleep ideas green colorless

ثم يستنتج ان النحو مستقل عن المعنى. ويقرر ان العلاقة بين المعنى والتركيب syntax يمكن دراستها فقط بعد ان تكون البنية النظامية syntactic structure قد قررت على اساس مستقلة^(٤٦). ويدل على ذلك بطرح بعض الأمثلة: فيرى انه لا يوجد سبب يتعلق بالدلالة او المعنى لتفضيل الأولى من هاتين الجملتين

١- have you a book on modern music?

(٤٥) المصدر نفسه.

(٤٦) Noam Chomsky, Syntactic Structures, pp. ١٥ - ١٧

٢- read you a book on modern music?

أو بين هاتين الجملتين:

٣- The book seems interesting

٤- The child seems sleeping

ويقرر ان هناك اسباباً تتعلق بالبنية العميقة للتفريق بين هذه الجمل وصحتها^(٤٧). ثم يعطي امثلة من النحو

التحويلي لايضاح الصورة فيظهر اننا لو قمنا بعملية تحويلية لجملة:

The child seems sleeping

الى

the very sleeping child

وقمنا بعملية تحويلية لجملة:

The book seems interesting

الى:

the very interesting book

لظهر لنا سبب تفضيل الجملة الأولى على الثانية والثالثة على الرابعة من الوجهة التحويلية^(٤٨). وقد انتقد

تشومسكي الوصفين "البلومفيلديين" لأن تركيزهم كان يقف على وصف "السطح اللغوي" كما هو بمقاييس

المنبّه والاستجابة (وقد سبق ان اشرنا الى ذلك في حديثنا عن بلومفيلد ومثله الشهير بين "جاك" و"جيل")،

وهذا يعني ان "البلومفيلديين" كانوا، في بحثهم اللغوي، يعاملون الانسان كله كآلة وكان درسهم ميكانيكياً،

^(٤٧) المصادر نفسه، ص ١٥.

^(٤٨) المصادر نفسه، ص ٧٥.

وكانوا يعدون هذا الدرس "علمياً" أكثر من النحو التقليدي الذي كان يشدد على "عقلانية" البحث والوصف في اللغة^(٤٩).

ويقرر تشومسكي ان الطفل الذي تعلم لغة، فعل ذلك بأن طور " تعبيراً داخلياً" (internal representation) لنظام من القواعد التي تقرر كيف تتشكل الجمل وتُستعمل وتُفهم. وعليه فالطفل لديه القدرة لابتكار نحو مناسب من المعطيات اللغوية الأولية primary linguistic data^(٥٠)، وهو، اذاً، مطبوع على تعلم اللغة كلامياً قبل ان يتعلم القراءة والكتابة اللتين تحتاجان الى تدريب^(٥١).

وانطلاقاً من هذا فالنحو التوليدي عند تشومسكي على مستويين، الأول: مستوى الكفاية الوصفية descriptive adequacy من حيث انه يصف الموضوع بطريقة صحيحة، وبشكل خاص يعني الحسن اللغوي لابن اللغة native speaker ، وبهذا المعنى فالنحو مبررٌ على أسس "خارجية" external grounds. اما المستوى الثاني الأعمق، وهو مستوى كفاية التفسير explanatory adequacy ، فالنحو يجد تبريره في ان النظرية النحوية التي يعتمدها تختار هذا النحو دون غيره بناءً على مُعطيات لغوية، وهو على هذا الأساس - نعني النحو التوليدي - مبررٌ على اسس "داخلية" internal grounds^(٥٢). ولأن هذه الأسس "الداخلية" تتحقق بقدرات فطرية، فان هذا يعني وجود "عالميات لغوية شكلية ومادية Formal and substantive universals. وهو يرى ان النحو العالمي التقليدي كان ايضاً نظرية عالميات لغوية مادية، ليس فقط من حيث اهتمامه بعلم الأصوات، بل ايضاً من حيث انه اقرّ بأن بعض الفئات التركيبية كالاسم والفعل يمكن ان توجد في أي لغة^(٥٣).

^(٤٩) John Lyons, Chomsky, p. ٩٢

^(٥٠) Noam Chomsky, Aspects ..., p. ٢٥

^(٥١) Lyons, op. cit., p. ١٤

^(٥٢) Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, p. ٢٧

^(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٨.

وتأسيساً على ما سبق من تعلق اللغة بالحس اللغوي لابن اللغة ومن كونها فطرية innate بيني تشومسكي نظريته اللغوية على اساس عقلي خصوصاً، لادراكه بأن اللغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات (ومن مجموعة محدودة من الرموز الكتابية). ومع ذلك، فإنها، أي اللغة، تنتج أو تولّد (generates) جملاً لا نهاية لها، وعليه فاللغة خلقة بطبيعتها لأن كل متكلم بها يستطيع ان ينتج جُملاً لم يسبق ان قالها غيره، ويستطيع السامع ان يفهم جُملاً لم يسبق له ان سمعها من قبل^(٥٤). وهنا يطلق تشومسكي مصطلحيه " الكفاية competence " و"الأداء performance" فالمصطلح الأول (الكفاية) يتعلق بمدى معرفة المتكلم للغة وقدرته على الحكم على " نحوية" الجُمَل grammaticality ، بينما المصطلح الثاني (الأداء) يتعلق باستعمال المتكلم للغة والحكم على كون الكلام مقبولاً acceptable. ولايضاح الصورة نقول ان مصطلح "الأداء" يعكس "الكفاية" أي ان ما يجري على السطح من اداء فونولوجي (صوتي) - او الكلام المنطوق به - هو انعكاس او ظهور لما يجري في العمق او وراء الوعي، أي ان "الكفاية" تمثل البنية العميقة deep structure وتقدم التفسير الدلالي فيما تقدم البنية السطحية surface structure التفسير الصوتي^(٥٥). لذا فدراسة "الكفاية" هي دراسة النحو المتحقق سيكولوجياً، والذي يحوي المعرفة اللغوية كلها التي يملكها المتكلم، ان كانت نظرية او مكتسبة^(٥٦). بينما دراسة "الأداء" تتعلق بالقواعد التي تحكم استعمال اللغة، هنا يدخل السياق وسهولة الفهم وكون الكلام حقيقياً (او غير محال كما عبّر سيبويه) في الموضوع^(٥٧). ويلفت النظر هنا تشابه آراء تشومسكي وسيبويه، اذ يضع الأخير باباً يسميه "باب الاستقامة من الكلام والإحالة"^(٥٨) فيقول:

^(٥٤)الراجحي، المرجع المذكور، ص ١١٤ و ١٥ Chnomsky, *Syntactic Structures*, p.

^(٥٥)الراجحي، المرجع المذكور، ص ١١٥ و ١٦ p. and ١١ Chnomsky, *Aspects of the Theory of Syntax*, p.

^(٥٦) Neil Smith and Deidre Wilson, *Modern Linguistics*, p. ٤٤

^(٥٧) Chnomsky, *Aspects...*, p. ١١ و ibid.

^(٥٨) الكتاب، ج ١، ص ٢٥.

فمنه مستقيم حسن، ومُحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو مُحال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسأتيتك غداً .

وأما المحال فإن تنقض أول كلامك بآخر، فتقول: أتيتك غداً، وسأتيتك أمس.

وأما المستقيم الكذب فقولك: حَمَلْتُ الجبل، وشربتُ ماء البحر ونحوه.

وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكى زيداً

يأتيتك، وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فإن تقول: سوف اشرب ماء البحر أمس^(٥٩).

فالتركيب و"نحوية" الجملة ينفصلان عن المعنى عند كل من تشومسكي وسيبويه. فقد تكون

الجملة " نحوية" من حيث التركيب دون ان يكون لها معنى وقد تكون " نحوية" لها معنى أو غير " نحوية"

لها معنى، أو قد تكون ذات معنى لكنها غير " نحوية".

ويقودنا هذا، من خلال قضية المعنى، الى المكونات Components عند تشومسكي، فهي مُكوّن

نظمي (أو تركيبى syntactic)، ومكوّن فونولوجي، ومكوّن دلالي semantic^(٦٠). وننفذ من خلال ذلك الى

القاعدة base. ويوضح Dinneen ذلك - في المكان ذاته - بالقول: بما ان المكوّن النظمي يختص بالبنية

العميقة، وفي حين يتعلق التفسير الدلالي، وعبر التحويلات transformations، بالبنية السطحية، التي يتحدد

لها تفسير صوتي (فونولوجي) بواسطة المكوّن الفونولوجي، وبما ان المكون النظمي هو الذي يولد

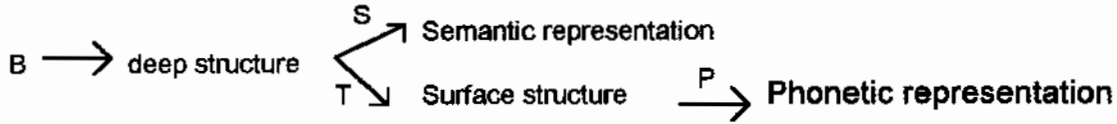
(generates)، بينما الآخران - أي المكوّن الفونولوجي والمكوّن الدلالي - يفسران، فان المكوّن النظمي

syntactic يمكن ان يسمى القاعدة. ويوضح الرسم التالي الموضوع^(٦١):

(٥٩) نفسه، ص ٢٥ - ٢٦.

(٦٠) Dinneen, *op. cit.*, p. ٣٨٢

(٦١) Chnomsky, *Language and Mind*, p. ١٤



وإذا اردنا ان نوضح العلاقة بين ما يقوله تشومسكي واللغة العربية المعربة، من خلال قضية المكونات، نأخذ راي الدكتور احمد حاطوم في كتابه "كتاب الإعراب" حيث يتطرق الى دلالية الاعراب (علاقة المعنى بالاعراب)، فهو يرى ان لنا تسمية ثلاثة اعرابات:

-اعراب شكلي

-اعراب دلالي

-اعراب شكلي دلالي

فالاعراب الشكلي لا يؤدي معنى او بالأحرى عدم وجود اعراب لا يُخِلُّ بالمعنى. اما الاعراب الدلالي فهو كل اعراب لا تُؤدِّي المعاني النحوية - التراكيبية لكلماته، ولا تُفهم الا به. ويقول "حاطوم" انه وجد شواهد من القرآن والشعر على هذا، غير انه لم يعثر على شواهد من النثر^(١٢).

ونقتطف نماذج من الاعراب الدلالي عند حاطوم اذ يأخذ الآية ١٥٥ من سورة الانعام: "وهذا كتاب أنزلناه مبارك وآتقوا الله لعلمكم تُرْحَمُونَ" ويُعلِّق على اختيار الرفع في كلمة "مبارك"، فيقول: "لا نستطيع، بغير الاعراب، ان ندرك المعنى النحوي - التركيبي المطلوب، المائل في كلمة "مبارك". فقط بالاعراب الظاهر في الكلمة، ندرك انها نعتٌ لـ "كتاب"، وليست حالاً من الضمير في لفظة "انزلناه"^(١٣). ويقرر انه مهما كان الفرق بين حالية الكلمة ونعتيتها فانه يبقى فرقاً.

ونأخذ نموذجاً آخر هو الآية ٢٠ من سورة الحج: "يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمِ وَالْجُلُودَ" فيقرر ايضاً، اننا لا نستطيع، بغير الاعراب، ان ندرك المعنى النحوي - التركيبي المطلوب لكلمة الجلود. "تقط

(١٢) احمد حاطوم، كتاب الاعراب، ص ٢٢٥.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٢ - ٢٣٥.

بالرفع الظاهر في هذه الكلمة، ندرك انها معطوفة على الاسم الموصول "ما"، وليست معطوفة على الاسم المجرور في لفظة "بطونهم". ومعلوم ما بين الاعرابين من فرق في المعنى النحوي - التركيبي العائد الى كل منهما^(١٤).

وفي شاهد اوضح من القرآن يُبرز اثر الاعراب الدلالي، ففي الآية ٧٨ من سورة الرحمن: "تبارك اسمُ ربِّك ذي الجلال والاکرام" يقول: نلاحظ ان القطعة الكلامية "ذي الجلال والاکرام" يمكن ان تكون نصاً لكلمة "اسم" المرفوعة، وكلمة "رب" المجرورة: لأننا اذا قبلنا التبارك لاسم الله فاننا نقبل لهذا الاسم الجلال والاکرام ايضاً. فاذا اضفنا ان دعاء التبارك مُوجّه، من أوّل الكلام، الى اسم الله وليس الى ذاته، كان لنا ان ذهن المتلقي انما يتوجّه الى جعل النصب لاسم الله ايضاً، وليس لذاته، وان لم يكن ما يُظهر المعنى الالهي ويجعل النعت للذات الا الاعراب^(١٥).

ويأتي حاطوم بشاهدين شعريين على الاعراب الدلالي اولهما بيتاً للفرزدق ورد في سياق خبر عند ابن جنّي في الخصائص (ج ٣، ص ٢٠٣)، وفيه "أن الفرزدق حضر مجلس النحوي البصري المعروف عبد الله بن ابي اسحق الزياتي الحضرمي، فقال له: كيف تُشيد:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان في الألباب ما تفعلُ الخمرُ

فقال الفرزدق: كذا أتشد. فقال ابن ابي اسحق: ما كان عليك لو قلت فعولين؟ فقال الفرزدق: لو شئت ان تُسبِّح لسبّحت. ونهض فلم يعرف احد في المجلس ما اراد بقوله... أي لو نصب لأخبر ان الله خلقهما وامرهما ان تفعل ذلك، وانما ارد ذلك: انهما تفعلان بالألباب ما تفعل الخمر... ويعلق "حاطوم" على هذا

(١٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٥.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٦.

بأن كلمة " فعولان" في اعرابها يمكن ان يكون لكلٍ منهما معنى لا يكون ابداً لسواه ولا يكون ابداً بسواه^(١٦).

ويأتي الكاتب بشاهده الشعري الآخر من قول الشاعر نجيب جمال الدين في ديوانه "الكتابة على

اعمدة الشمس" (ص ١١) حيث يقول:

وَهَزَّتْ دَمَالِيحَ دَلْ لَتَسْأَلْ:	ماذا يُحاكي رنينُ السَّوَارِ
فَقَلْتُ: كَبِيْتِ بَغَابَةِ خَوْفِ	ورِيحٍ وَتَلَجٍ وَبَعْضِ جِمَارِ
وشِيخٍ على الحجر يُرمى فقصفاً	ويا ما أحيلى بليلِ الصَّعْغَارِ
وعاد الى الهزّ زنبقها الغضُّ	يغوي القصيد ويغري... يغار

ويلاحظ ان "رفع الكلمات الخمس المرفوعة يؤدي معنى "ليس للجرّ الا ان يؤدي سواه. وقيام الشاعر بضبط هذه الكلمات بالضم هو تلبية لحاجة طبيعية احسها وهو يؤدي معانيه ويوجهها الى سواه، لأن عدم التحريك لا يمكن، لا في السياق التركيبي، ولا في السياق الدلالي للأبيات الا ان يفضي الى الجرّ بالعطف على مجرور. ان ذهن المتلقي الخالي من معنى الرفع الذي عبّر عنه الشاعر بالضم الظاهر، لا يذهب الى هذا المعنى الا اذا نبهه منشئ الكلام اليه، ودفعه دعماً للبحث عن معنى مغاير لمعنى الجرّ. وبالتالي "ليس لنا الا بالرفع المعبر عنه بالضم الظاهر، أي ليس لنا الا بالاعراب ان نفهم المعنى النحوي - التركيبي الذي اراده الشاعر لكلماته وَايَّاتِهِ التي تتضمن هذه الكلمات"^(١٧).

ولنتقل الآن الى قواعد النحو التحويلي التي يحددها Bach^(١٨) بأنها قد تتبع ايّاً من العمليات

التالية:

(١٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٧.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٢٣٣ - ٢٣٧.

(١٨) Emmon Bach, An Introduction to Transformational Grammar, p. ٧٠.

deletion: $a + b \rightarrow (or\ a \rightarrow null)$	قواعد الحذف
replacement: $a \rightarrow b$	قواعد الإحلال
expansion: $a \rightarrow b + c$	قواعد التوسع
reduction: $a + b \rightarrow c$	قواعد الاختصار
addition: $a \rightarrow a + b$	قواعد الزيادة
Permutation: $a + b \rightarrow b + a$	قواعد اعادة الترتيب

لنجد، كما قال عبده الراجحي، ان "طريقة النحو التحويلي تتبع عدداً من "العمليات النحوية" تشبه شبيهاً غير بعيد كثيراً مما جاء في النحو العربي"^(٦٩).

ويقارن الدكتور محمود سليمان ياقوت بين مصطلح "التحويل" Transformation والتقدير، فيقول:
ان مصطلح "التحويل" يُعدّ الأساس الأول في العمليات النحوية التي نجدها عند التحويليين، فهناك التحويل بالاستفهام، والتحويل بالنفي، والتحويل بالاختصار، والتحويل بواسطة البناء للمجهول، والتحويل بواسطة السؤال الذي إجابته "نعم" أو "لا"، وغير ذلك. "ويندرج تحت مصطلح التحويل مصطلحات "البنية العميقة" و"البنية السطحية" و"الأصل المقدر" ولذلك يمكننا ان نقول تجاوزاً ان مصطلح "التحويل يساوي مصطلح التقدير"^(٧٠) ونختم كلامنا على النحو التحويلي باقتباس من كتاب عبده الراجحي "النحو العربي والدرس الحديث" حيث يخلص الى ما يلي:

١- ان المنهج الوصفي الذي تطور في هذا القرن ليس صالحاً لدراسة "اللغة الانسانية" لأنه يركز عمله

(٦٩) الراجحي، المرجع المذكور، ص ١٤٠ .

(٧٠) محمود سليمان ياقوت، قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين، ص ١٨٠ .

على "الواقع اللغوي" وحده كما يظهر في كلام الناس رافضاً كل ما هو وراء الاظهار المادي للغة صوتاً أو كتابة.

٢- ان العودة الى مذاهب الحركات العقلية في الفكر الانساني تؤكد قيمة اللغة في الحياة الانسانية، وان تناولها ينبغي ان يراعي هذه القيمة وهي تقتضي عملاً اكثر شمولاً واتساعاً من هذا "الاستقلال الضيق" الذي نادى به الوصفيون لعلم اللغة.

٣- ان ربط اللغة "بالعمليات العقلية" قد افضى الى نتائج مهمة في تأسيس المنهج التحولي عند تشومسكي وزملائه وتلاميذه، بحيث تغير الاتجاه تغيراً يكاد يكون كاملاً عما كان عليه عند الوصفيين.

٤- ان النقد الذي وجهه الوصفيون الى النحو التقليدي - وهو الذي وُجّه بعد ذلك الى النحو العربي - ليس مقبولاً من تشومسكي ومدرسته، بل انه يؤكد في ختام دراسته عن الديكارتيين ان عدم استمرار التطور في النظرية اللغوية منذ ذلك الحين قد اضرها، وان فحص النظرية الكلاسيكية فحصاً معتبياً مع تأكيدها على العمليات العقلية قد يثبت يوماً انها عمل ذو قيمة كبيرة^(٧١).

في العامل

شغلت قضية العامل النحويين واللغويين العرب من قداماء ومحدثين، ومال الوصفيون الى رفض فكرة العامل من اساسها لما تصدر عنه من تصور عقلي، مع ما جاء في المنهج الوصفي باعتباره "تركيباً" من حديث عن الوظائف النظمية التي تنشأ عند انتظام الكلمات في تركيب لغوي معين^(٧٢). ويقول شوقي

(٧١) الراجحي، المرجع المذكور، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٧٢) الراجحي، المرجع المذكور، ص ١٤٧ .

ضيف: "وتتداخل نظرية العوامل في كل ابواب الكتاب وفصوله النحوية، بل لا نغلو اذا قلنا انها دائماً الأساس الذي يبنى عليه (سيبويه) حديثه في مباحث النحو"^(٧٣).

لنأخذ بالحديث من ابن جنّي الذي عدّ المتكلم هو العامل في الحقيقة حيث يقول: "وانما قال النحويون عامل لفظي، وعامل معنوي، ليروك ان بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه؛ كمررت يزيد، وليت عمراً قائم، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلّق به، كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم؛ هذا ظاهر الأمر، وعليه صفحة القول، فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والجرّ والجزم انما هو للمتكلم نفسه، لا لشيء غيره. وانما قالوا لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ، او باشتمال المعنى على اللفظ. وهذا واضح"^(٧٤).

هذا قول ابن جنّي الذي تلقفه ابن مضاء القرطبي ودعا الى الغاء نظرية العامل، وتجاوز ابن جنّي في قوله ان المتكلم هو العامل، حيث يقول: "واما مذهب اهل الحق فإن هذه الأصوات انما هي من فعل الله تعالى، وانما تنسب الى الانسان كما ينسب اليه سائر افعاله الاختيارية"^(٧٥). اذ لا فاعل عنده الا الله. وهذا لأن ابن مضاء من المجبرة كما يقول الدكتور مهدي المخزومي^(٧٦). ويحاول ابن مضاء الغاء نظرية العامل والمعمول من خلال تعرّضه لمسائل النحو، كالتنازع الذي يفضل ان يستعمل فيه مصطلح التعليق. وكذلك يتعرض لباب الاشتغال حيث يرى انه " لا يُضمَر رافع كما لا يُضمَر ناصب، انما يرفعه المتكلم وينصبه اتباعاً لكلام العرب"^(٧٧).

^(٧٣) شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص ٦٤ .

^(٧٤) ابن جنّي، الخصائص، ج ١، ص ١٠٩ - ١١٠ .

^(٧٥) ابن مضاء القرطبي، كتاب الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، ص ٨٧ .

^(٧٦) مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص ٢٦٥ .

^(٧٧) ابن مضاء، الرد على النحاة، ص ١٢١ .

وقد اخذ الدكتور شوقي ضيف، محقق كتاب ابن مضاء، برأي هذا الأخير ودعا الى الانصراف عن نظرية العامل. وهو يدعو الى تصنيف جديد للنحو على قاعدة احوال الكلمات لا على قاعدة العوامل^(٧٨). وما يقوله: "أما باب كاد فاسمها نعرية فاعلاً ولا داعي للتأويل فيه. وأما باب ظن فلا داعي له؛ لأننا ندرس فيه تعدي الفعل الى مفعولين، اصلهما المبتدأ والخبر، وكذلك الشأن في باب أعلم وأرى مما يتعدى الى ثلاثة مفاعيل؛ وكل هذا تشويش؛ اذ يجب ان نضم هذين البابين الى باب المفعول به، حيث نبين هناك انه يكون واحداً ومتعددًا. وايضاً فكرة التعدي واللزوم في الأفعال يجب ان نسحبها من النحو، لأنها تدل على العمل وترتبط به، ولن يتعبنا ذلك. ففي كتب النحو من يسميها على التوالي: واقعة وغير واقعة ومجازة وغير مجازة، ومؤثرة وغير مؤثرة، فلنختار لأنفسنا احد هذه الاصطلاحات. وإذا فالأصل في المبتدأ الرفع وقد ينصب في باب انّ ولا النافية للجنس ويجر في باب رب..."^(٧٩) وهو لا يهتم بأن يكون فعل "كان" تاماً أو ناقصاً فهو فعل عام^(٨٠).

وعلى هذا يستمر الدكتور شوقي ضيف فلا يكاد يرى شيئاً صالحاً من عمل النحويين القدماء. لقد أرقته فكرة العامل! فضايق صدره حتى بالفعل اللازم والمتعدي وتغاضى عن تقابلية نظر النحويين القدماء للجملة الاسمية ودخول النواسخ عليها، ويريد للمبتدأ ان يكون مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً على ان يعقد لذلك ابواباً مختلفة (وهذا ليس فيه تشويش!؟).

ونترك المخزومي يرد على شوقي ضيف من زاوية اخرى: "أقول: إن الغريب هو ان ينحو الدكتور نحو ما ذهب اليه ابن مضاء، الذي عملت على تكوين مذهبه في النحو عوامل دينية خاصة، ووجد في ظروف خاصة ايضاً، اوصدت امامه الباب الذي ينفذ منه الى تفهم اللغة وقوانينها، فان هناك

(٧٨) شوقي ضيف في مقدمة الرد على النحاة، ص ٥١ - ٥٣.

(٧٩) المصدر نفسه، ص ٥٥ - ٥٦.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٥٤.

عوامل لغوية، من تطور، ودوران في الاستعمال، وتأثيرات لفظية يدعو إليها وضع الصوت الى جانب الصوت، والكلمة الى جانب الكلمة، وانه لا ضيرَ على اللغة من التأويلات والتقديرات التي تتبني على اساس من فقه اللغة وشعور بالحسن اللغوي، عند اصحاب اللغة انفسهم^(٨١). ويقرّ المخزومي - في المكان نفسه - ان الاختصار في الجملة وحذف بعض اجزائها ممكن على الا يُخلّ بالمعنى. والتقدير والتأويل لا ينفيهما البحث اللغوي "لأن اللغة ترجمان للفكر وأداة من ادواته، وان حركة الجملة بترتيب اجزائها، وتواليها تتبع حركة الفكر بترتيب صورته وتواليها، فاذا اسقط الاستعمال بعض اجزاء الجملة بقيت الصور الذهنية مفهومة بالقرائن، فاذا أول الدارس جملة او عبارة فانما يؤول استثناساً بما تفهمه من مدلول الجملة". ثم يقول : " وحاكاه قاله ابن مضاء وما كان فيه الدكتور شوقي ضيف، فيصلح ان يكون وسيلة تسهيل على المبتدئين غير المتخصصين"^(٨٢). وهذا العامل يسميه المخزومي "العامل التوقيفي" ، أما "العامل اللغوي" فهو "من ملاحظة الظواهر اللغوية التي ترجع الى ما بين الأصوات من تأليف وتناظر، وتأثير بعامل الحروف في بعض، وملاحظه اثر الاستعمال في كثير من الأبنية والجمال"^(٨٣). لذلك فالنحاة الأولون، ويخص منهم الخليل والفرّاء، "انما نفذوا الى فكرة العامل وقالوا به، في ضوء هذه الدراسات... ثم جاءت بعد الطبقة الأولى طبقات لم تفهم منهج أولئك، فتناولت العامل تناولاً فلسفياً، وهياً لها ذلك طغيان المنهج العقلي، واندفاع الدارسين الى الاستفادة من الفلسفة اليونانية، والمنطق اليوناني، فانتهت دراسة العامل الى ان يُضفي عليه صفة العلة الفلسفية، وانتهت دراسة النحو الى ما انتهت اليه من جذب وجمود"^(٨٤). ويظهر ان همّ المخزومي الدفاع عن الخليل الذي يبدو انه يكنّ له احتراماً شديداً، اذ يكرر

(٨١) المخزومي، مدرسة الكوفة، ص ٢٦٨.

(٨٢) المصدر المذكور، ص ٢٦٩.

(٨٣) المصدر المذكور، ص ٢٧٤.

(٨٤) المصدر نفسه.

مقولته هذه في كتابه "الخليل بن احمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه" فيبرئه من "تهمة" العامل، حيث يقول: "لا ينبغي ان يلام الخليل على ذلك فليس من ذنبه هو ان يستغل النحاة المتأخرون الفلسفة الى ابعد حدود الاستغلال، ويفتحوا السبيل لها لغزو المباحث النحوية..."^(٨٥).

وينحو الدكتور تمام حسان نحو سابقه في رده لفكرة العامل ويرى ان ابن مضاء قد ابان فسادها، لكنه لم يأت بتفسير مقبول لاختلاف العلامات الاعرابية باختلاف المعاني النحوية ولم يقيم مقام العامل فهماً آخر لهذه العلاقات غير قوله ان العامل هو المتكلم (!) فجعل اللغة بذلك أمراً فردياً يتوقف على اختيار المتكلم ونفى عنها الطابع العرفي الاجتماعي الذي هو اخص خصائصها^(٨٦). ويأتي هو بحل هو "القرائن المعنوية" وعلى اساس هذه القرائن يعرب جملة "ضرب زيداً عمراً"، فيقول انه وجد كلمة "ضرب" قد جاءت على صيغة (فعل) التي تدل على الفعل الماضي... "ومن هنا نبادر الى القول بان : ضرب فعل ماضٍ. ثم ننظر بعد ذلك في زيد فنلاحظ ما يأتي:

- ١- انه ينتمي الى مبنى الاسم (قرينة الصيغة)
- ٢- انه مرفوع (قرينة العلامة الاعرابية)
- ٣- ان العلاقة بينه وبين الفعل الماضي هي علاقة الاسناد (قرينة التعليق)
- ٤- انه ينتمي الى رتبة التأخر (قرينة الرتبة)
- ٥- ان تأخره عن الفعل رتبة محفوظة (قرينة الرتبة)
- ٦- ان الفعل معه مبني للمعلوم (قرينة الصيغة)
- ٧- ان الفعل معه مسند الى المفرد الغائب (وهذا اسناده مع الاسم الظاهر دائماً) (قرينة المطابقة)

(٨٥) مهدي المخزومي، الخليل بن احمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٨٦) تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، ص ١٨٥.

وبسبب كل هذه القرائن نصل الى ان "زيد" هو الفاعل^(٨٧).

ويكرر هذا مع "عمراً" ليصل الى انه مفعول به.

ويعلق الدكتور محمود سليمان ياقوت قائلاً: "ان تلك القرائن التي اعتمد عليها (يعني الدكتور تمام حسان) لكي يعرب الجملة "ضرب زيدَ عمراً" تتعب كثيراً في تحصيلها، خاصة وانها متنوعة، واعراب الكلمة الواحدة يعتمد على عدة قرائن... وان بعض تلك القرائن كان مكرراً، وذلك نحو "قرينة الرتبة" وهي قرينة غير ثابتة، ورتبتها غير محفوظة، وهذا يؤدي الى التقدير حتى يمكن ان نبين موقعها الصحيح وكذلك "القرائن اللفظية". ثم يأتي برسم بياني "يوضح" القرائن المعنوية. ولكي نأخذ فكرة عما يتكلم نتناول جزءاً من القرائن المعنوية وهو التخصيص، الذي هو "قرينة معنوية كبرى تنفرع عنها قرائن معنوية اخص منها على النحو الآتي^(٨٨):

<u>المعنى الذي تدل عليه</u>	<u>القرينة المعنوية</u>
المفعول به	١- التعدية
المفعول لأجله والمضارع بعد اللام وكى والفاء ولم واذن، الخ.	٢- الغائية (وهي تشمل غائية العلة وغائية المدى)
المفعول معه والمضارع بعد الواو	٣- المعية
المفعول فيه	٤- الظرفية
المفعول المطلق	٥- التحديد والتوكيد
الحال	٦- الملايسة

(٨٧) المصدر نفسه، ص ١٨١.

(٨٨) ياقوت، المصدر المذكور، ص ١٩٤.

٧- التفسير	التمييز
٨- الاخراج	الاستثناء
٩- المخالفة	الاختصاص وبعض المعاني الأخرى

ثم ننتقل الى القرائن اللفظية وهي:

١- العلامة الاعرابية	٢- الرتبة
٢- الصيغة	٤- المطابقة
٥- الربط	٦- التضام
٧- الأداة	٨- النغمة

فان الجملة التي اتى بها، وهي "ضرب زيدَ عمرأ" لو جاء اختلاف في مواقعها وجب "اعادة ترتيبها حيث نحافظ على قرينة الرتبة"^(٨٩).

ويضيف "ياقوت" قائلاً: " ثم ان العامل الذي يعد اساس الدراسة النحوية - على الرغم مما اصابه من هجوم في القديم والحديث - اسهل من تلك القرائن العديدة، فانه من الممكن ان نقول إن "ضرب " هو عامل الرفع في "زيد" والنصب في "عمرأ" بدلاً من تلك القرائن التي نتوصل بناءً عليها الى ان "زيد" فاعل و"عمرأ" مفعول به"^(٩٠)

ونتهي هذا البحث المختصر برأي الدكتور عبده الراجحي في قضية العامل، يقول: "والذي يعنيننا

هنا هو ان نلفت الى ان التحويليين يقررون ان النحو ينبغي ان يربط البنية العميقة ببنية السطح، والبنية

^(٨٩) ياقوت، المرجع المذكور، ص ١٥٨ - ١٥٩.

^(٩٠) المصدر نفسه، ص ١٥٩.

العميقة تمثل العملية العقلية او الناحية الادراكية في اللغة conceptual structures ، ودراسة هذه البنية تقتضي فهم العلاقات لا باعتبارها وظائف على المستوى التركيبي، ولكن باعتبارها علاقات للتأثر والتأثير في التصورات العميقة، والحق ان قضية العامل -في اساسها - صحيحة في التحليل اللغوي، وقد عادت الآن في المنهج التحويلي على صورة لا تبتعد كثيراً عن الصورة التي جاءت في النحو العربي. والتحليل النحوي عند التحويليين يكاد يتجه الى تصنيف العناصر النظمية وفقاً لوقوعها تحت تأثير عوامل معينة ينبغي على الدارس ان يعرفها ابتداءً، وتكاد المصطلحات التي يستعملها التحويليون لا تختلف عن كلام العرب القدماء^(١١).

ونختم بأن نقول ان هناك لغاتٍ معربة حية غير اللغة العربية كاللغة الألمانية واللغة الروسية وفي هاتين اللغتين "تعمل" الأفعال وحروف الجر فتؤثر في اواخر الكلمات. وحتى في اللغة الانجليزية تتردد مصطلحات subject و object و direct object and indirect object مع ان اللغة غير معربة، ولكن يظهر اثر الاعراب في مفردات كضمائر them و him و her وهذه لا تتأثر بلا سبب، بل ان الفعل مثلاً "يعمل" في مثل جملة I saw him.

في الجملة الفعلية والجملة الاسمية

عدّ النحويون العرب القدماء (خاصة البصريين) الجملة التي تبدأ بفعل جملة فعلية والتي تبدأ باسم جملة اسمية. لكن الدكتور مهدي مخرومي يرى انهم تخطوا في تحديد الاسمية والفعلية في الجمل، "فان تقسيمهم الجمل الى اسمية وفعلية مبني على اساس لفظي محض، لم يلحظوا فيه الفرق بين طبيعتين مختلفتين، فضيقوا مجال الجمل الفعلية حتى قصروها على ما تقدم فيها الفعل، ووسعوا مجال الجمل

(١١) الراجحي، للرجع المذكور، ص ١٤٧ - ١٤٨.

الاسمية حتى ادخلوا فيها ما ليس منها من جمل فعلية تقدم فيها الفاعل على الفعل^(٩٢). ويأخذ بشاهد الكوفيين على تقديم الفاعل على الفعل، وهو قول الزبّاء:

ما للجمال مشيها ونيدا أجنلاً يحملن أم حديدا

ويعرف الجملة الاسمية بانها الجملة التي يكون فيها المسند دالاً على دوام انتسابه الى المسند اليه. أو هي الجملة التي لا يكون فيها المسند فعلاً^(٩٣).

اما الجملة الفعلية عنده فهي "الجملة التي يكون فيها المسند دالاً على التغير والتجدد، او بعبارة اخرى، هي التي يكون فيها المسند فعلاً، لأن الفعل بدلالته على الزمان هو الذي يدل على تجدد الاسناد وتغيره، وذلك نحو: قام خالد، ويقوم خالد، وخالد يقوم، ونحو "ان احد من المشركين استجارك" و "اذا ما سارق بالغدر حاول..."^(٩٤) وهكذا تتساوى عنده جملتا "يقوم خالد" و "خالد يقوم" على انها جملتان فعليتان، وانما تقدم الفاعل على الفعل في الجملة الثانية.

ويمكن الاعتراض على هذا بأنه في حال دخول "إن" واخواتها و"كان" واخواتها على جملة "خالد يقوم" فما يكون اعراب خالد؟ فلو قلنا "إن خالداً يقوم" يصبح "خالد" اسم ان المنصوب، فتعود الجملة (ربما بناء على القواعد التحويلية) اسمية، أو بالأحرى يثبت انها جملة اسمية وليست فعلية.

ثم لنلاحظ ان الجمل الاسمية كلها تحتوي على فعل مقدّر، ففي مثل "زيدٌ هناك" عندنا تقدير "وجود" أو "كون" لأننا اذا حولنا الجملة الى الماضي صارت "زيد كان هناك". وهذا ما لاحظته النحاة القدماء من انه يأتي بعد الاسم الذي يلي اذا الفجائية مقدّر "كون" أو "وجود" مثل: خرجتُ فاذا السبعُ، أي

(٩٢) مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٩٣) المصدر نفسه، ص ٨٦ و ١٤٤.

(٩٤) المصدر نفسه، ص ٨٦.

موجود. وكذلك الأمر مع "لولا"، في مثل "لولا عبد الله لكان كذا وكذا"، أي "لولا عبد الله (موجود)".

لذلك صحّ عندنا ان تكون الجملة الفعلية والاسمية كما قررها نحائنا الأقدمون .

ولعلّ المقارنة باللغات الأخرى تبين رأينا أكثر، ففي اللغة الروسية تتشكل جملة اسمية لا يظهر

فيها معنى الكون في الزمن الحاضر مثلاً:

Bbi cmygeHmb

أنت طالب

إذا كنت تقرر من " هو " (أي أنت)

وتتحول الى سؤال بالترقيم فقط Bbi cmygeHmb?

أي هل انت طالب؟

بينما لو استعملنا الماضي (وهذا تحويل) نلاحظ ان فعل "الكون" يظهر.

مقارنة اخرى يمكن ان نعدها مع اللغة الاسبانية التي فيها فعلاان للكون estar و ser . ser يُستعمل للأمور

التي لا تتحول، مثلاً: انا لبناني es Libanes أو انا رجل . es hombre

اما estar فتستعمل لما يتحول ويتغير من الأمور .

الفصل الثالث

مكانة التقدير في نظرية سيبويه النحوية

بعد أن مررنا، في الفصل الثاني، على بعض القضايا التي تتصل بالنظرية اللغوية عامةً وقضية التقدير خاصةً، كالوصفية والمعيارية والنظرية التوليدية - التحويلية وقضية العامل واسمية الجملة وفعليتها، نستطيع أن ندرس منهج سيويه في التقدير لنرى انه كان يراعي قضايا يحاول أن يؤسس بها نظرية نحوية. وسنعرض لجملة القضايا التي اهتم سيويه بإبرازها أو حظيت باهتمامه في شأن التقدير، فمن جملة هذه الأمور:

- أولاً: إن التقدير عنده يراعي سياق الحال context
- ثانياً: إنه يعتمد على فهم المخاطب، فهو شريك في العملية اللغوية القائمة على طرفين اثنين.
- ثالثاً: إن التقدير يفسر ظواهر إعرابية كالنصب والجر ضمن نظرية العامل والمعمول.
- رابعاً: إن التقدير يمثل تدخلاً من سيويه في تفسير الجمل من منظوره هو وانطلاقاً من عدم اكتفائه بالوصف.

- خامساً: إن للتقدير شروطاً منها ألا ينقض المعنى وأنه يجعل - في سبيل هذا - من الجملة الواحدة جملتين متوازيتين.

- سادساً: إن التقدير عنده يقوم أحياناً، على أن لبعض الحروف تقدماً على غيرها، كما يظهر في اضمار ان وليس غيرها من حروف النصب.

- سابعاً: إن سيويه يقر مبدأ اسقاط اجزاء من الكلام تسهيلاً واسراعاً: كما في التحذير والاعراء مثلاً، وهو اتجاه تسلكه اللغات جميعاً.

- ثامناً: إنه يقيم الجملة بناءً على مبدأ الإسناد، فتقدير المبتدأ فيه اقرار بوجود جملة وكذلك في الخبر.

وسنناقش هذه الأمور واحدةً واحدةً بحيث نمثّل على كلّ منها بشيء من التفصيل ونحاول ربطها بما ورد في الفصل الثاني من أمور الوصفية والبنية التحتية والعامل، الخ. لنصل الى استنتاجات نضمناها آخر هذا الفصل.

أولاً: في مراعاة التقدير لسياق الحال

يرى Bach أن هناك طريقة أخرى سوى "تحوية" الجُمْل grammaticality لفحص صحة النظرية اللغوية، ففي هذا المجال يجد انه من المهم ان نأخذ في الحسبان امر السياق context لغوياً كان أم غير لغوي، فكثير من اللبس ambiguity لا يلاحظ لأن احتمالات المعنى المتعددة تنحصر بفضل السياق^(١). ولعلّ المثل الأكثر شهرة على تأثير سياق في فهم المعنى هو المثل الذي أورده سيوييه من "انه اذا رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبدُ الله وربّي... الخ."^(٢) ومن ذلك اضماره لفعل يقرره السياق "اذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحاج... فقلت: مكّة وربّ الكعبة"^(٣). وتخريجه للآية "بل ملة ابراهيم حنيفاً" حيث يربط اضمار فعل "تتبع" بالسياق حين قيل لهم: "كونوا هوداً أو نصارى"^(٤).

وعليه فاننا نلاحظ ان سيوييه يهتم لسياق الحال، وبالتالي ما يؤثر فيه في المعنى، فيقرر مثلاً "انهم تركوا اظهار الفعل استغناءً بما يعرفونه من الحال. فسياق الحال موجود في وعي كل من المخاطب والمخاطب (فهما يعرفان ما يجري)، لذلك كان الاختصار ممكناً. فما يجري من الأمر يعيه كلاهما فلا يحتاج الأول الى التفسير والاطهار ولا يعجز الثاني عن الفهم بسبب هذا الاختصار. وفي الوقت ذاته ينبّه سيوييه الى انه حين لا تكون هناك دلالة او بالأحرى لا يشير سياق الحال الى ما يجري فانك لا تستطيع ان تضمّر فعلاً او غيره. فلا تستطيع ان تقول "زيداً" دون ان يكون هناك ما يُشعر بقصدك، بينما لو كان "زيد" او غيره يستحق الضرب مثلاً ويتوقّع ان يحلّ هذا به، فقلت: "زيداً" فان الأمر قد وضّح.

^(١) Emmon Bach, op. cit., p.184.

^(٢) راجع الفصل الأول، ص ٣٠. وانظر الكتاب، ج ٢، ص ١٣٠.

^(٣) راجع الفصل الأول، ص ٢. وانظر الكتاب، ج ١، ص ٢٥٧.

^(٤) المصدر نفسه.

ويقول "كارتر" Carter في هذا المقام: انه من الصعب ان نجادل في ان اللغة بالنسبة لسيبويه كانت دائماً "تعمل" (او تتواجد) في سياق حقيقي بين المتكلم والمستمع، وان الحذف ممكن فقط عندما يجعل السياق الحقيقي العناصر المحذوفة بيّنة^(٥).

ويؤكد هذا قول سيبويه: "وسألت الخليل عن قوله جلّ ذِكْرُهُ: "حتى اذا جاووها وفتحت ابوابها" اين جوابها؟ وعن قوله جلّ وعلا "ولو يرى الظالمون اذ يرون العذاب"، "ولو ترى اذ وقفوا على النار" فقال: ان العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلم المُخْبِر لأي شيء وُضِع هذا الكلام"^(٦). ردّ الخليل هذا يجعلنا نحسّ كم هي عقلية العملية اللغوية والى اي حدّ يؤثر العقل الباطن بالاضافة الى السياق في فهم المعنى وندرك مدى تقارب نظرة الخليل وبالتالي سيبويه الى نظرة النحويين التحويليين، ومدى اهمية الكفاية اللغوية competence عند مستعمل اللغة.

ثانياً: اعتماد التقدير على فهم المخاطب

تختلف العلاقة الكلامية بين المخاطب والمخاطب عن السياق context في ان السياق قد يدلّ الحَدَثُ فيه (أي يكون ذا دلالة) وهذا يمكن ان يؤدي الى الاضمار والتقدير كما في قولهم: مكة وربّ الكعبة، حيث كانت الدلالة من رؤية الحاجّ وملبسه، الخ. أو كما في قولهم: القرطاس واللّه، يعني أصبت القرطاس. أما العلاقة اللغوية بين اثنين فهي علاقة كلام متبادل بين متكلم مثالي ومستمع مثالي ideal speaker-hearer، فهنا يوضح الحديث بين المتكلمين اتجاه الكلام فيصير الاستغناء ممكناً.

^(٥) Michael G. Carter, "Elision" in *Proceedings of the Colloquim on Arabic Grammar*, ed. by K. Dévényi & T. Iványi (Budapest), 1991, p. 126.

^(٦) راجع الفصل الأول، ص ٤٨ وانظر الكتاب، ج ٣، ص ١٠٣.

ومن امثلة سيبويه على هذا ان "يقول الرجل رأيتُ فيما يرى النائمُ كذا وكذا، فتقول: خيراً وما
 "فسر، وخيراً لنا وشرّاً لعدوتنا... الخ."^(٧) ومثل ذلك في سياق الحديث "قول العرب: حدّث فلانٌ بكذا
 وكذا، فتقول: صادقاً والله. أو انشدك شعراً، فتقول: صادقاً والله أي قاله صادقاً"^(٨). واطهر من هذا في
 الدلالة على الاعتماد على فهم المخاطب التحذير اذ تكتفي بأن تقول: الأسدُ الأسدُ ليفهم انك تحذره من
 الأسد.

ثالثاً: تفسير التقدير لظواهر اعرابية

يستغل سيبويه التقدير في تفسير ظواهر اعرابية كالنصب والجر، ضمن نظرية العامل
 والمعمول. وتأخذ مثلاً على ذلك النصب على التعظيم والمدح، وقد برز هذا واضحاً في تعليقه لنصب
 "والمقيمين الصلاة" على تقدير أمدح المقيمين الصلاة، او ما شابه ذلك. ومثل ذلك "والصابرين". وكذلك
 النصب على الشتم في قراءة من قرأ "وامرأته حمالة الحطب"، وهو يؤكد ان هذا فعلٌ ولا يُستعمل
 اظهاره.

ويمكن ان نقول هنا ان نظرية العامل والمعمول لها حيّزٌ كبير في تفكير سيبويه النحوي وفي
 عملية التقدير عنه. ففي القسم مثلاً يدرك ان هناك ادوات للقسم كالواو والباء والتاء (نادراً)، ولكنه يقدر
 فعلاً للقسم ويضمّره وهو يجعله كما "تضيف مررتُ بالباء الا ان الفعل يجيء مضمراً في هذا الباب"^(٩).
 والملاحظ هنا اهتمامه بمعنى القسم، لذلك لا بدُ من اضممار فعل القسم هذا.

ولا يرضى سيبويه ان تكون "الواو" جارةً فيفسر قولهم:

^(٧) راجع الفصل الأول، ص ٧، وانظر الكتاب، ج ١، ص ٢٧٠.

^(٨) راجع الفصل الأول، ص ٨، وانظر الكتاب، ج ١، ص ٢٧١.

^(٩) الكتاب، ج ٣، ص ٤٩٦ - ٤٨٧.

وبلدة ليس فيها أنيسُ

على اضممار "رب".

وكما يلاحظ د. بعلبكي فإن استخدام سيبويه للتقدير يُظهر التناسق الضمني the underlying harmony لعبارات utterances تُسَيِّرُه قناعتُه بأن الابتداء (هنا وجود الاسم في الحالة الاسمية - حالة الرفع - غير متعلق بعامل خارجي) هو الحالة الأساسية للأسم: "الاسم أول احواله الابتداء"^(١٠)، لذلك، يتابع د. بعلبكي فإن أي حالة أخرى يجب ان تفسر بعامل يشمل الرفع والناصب والجار، كما تستدعي الحالة. ويشير في الهامش الى ان حالة الرفع، بالنسبة لسبويه وغيره من النحويين، قد تعود لعامل لفظي او معنوي بينما حالتا النصب والجر تعودان فقط للعامل اللفظي^(١١).

وضمن نظرية العامل والمعمول يفسر سيبويه نصب المصادر نحو الحذرَ الحذرَ ويجعل تثنيتهما بدلاً من التلغظ بالفعل مقارناً اياها بـ"اياك" في التحذير وكونها بدلاً من التلغظ بالفعل. ولكنه لا بد من فعل "نظري" يبرر النصب. يقول سيبويه: "ومما جعل بدلاً من اللفظ بالفعل قولهم الحذرَ الحذرَ، والنجاءَ النجاءَ، وضرباً ضربياً، فانما انتصب هذا على الزم الحذرَ، عليك النجاءَ، ولكنهم حذفوا لأنه صار بمنزلة اقل. ودخول الزم عليك على اقل محال"^(١٢). (يعني دخول فعل امر على فعل امر آخر). فهو يفسر ظاهرة اعرابية (النصب هنا) من خلال نظرية العامل والمعمول، وهو يدرك ان هذا العامل لا يظهر في كلام العرب، لذلك عدّه فعلاً مضمراً متروكاً اظهاره، ولكنه موجود مستغنى عنه لسبب يدخل ضمن النظرية النحوية المتناغمة عنده، وهذا السبب استحالة دخول فعل امر على فعل امر آخر. وهذا يمكن

^(١٠) الكتاب، ج ١، ص ٢٣.

^(١١) Ramzi Baalbaki, "Some Aspects of Harmony and Hierarchy in Sibawayhi's Grammatical Analysis", in ZAL, 1979, pp. 9 - 10.

^(١٢) الكتاب، ج ١، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

مقارنته بالنحو التحويلي عند تشومسكي وسواه عن وجود بنية عميقة deep structure خلف الكلام الظاهر
توضح معناه.

ويتبدى اجتهاد سيوييه في تفسير الظواهر الاعرابية في باب النداء، فهو يقرّر وجود فعل "أعني"
أو "أريد" مُضمّر ليُفسر النصب في المنادى المضاف والمشبّه بالمضاف وفي تبرير نصب نعت المنادى
المفرد. لكن تبدي هذه الظواهر الاعرابية اضافة الى معنى النداء المفهوم عقلياً يبرر موقفه هذا في بنائه
لنظريته النحوية.

ومن تفسيره للظواهر الاعرابية ضمن نظرية العامل والمعمول باب الاختصاص، فهو يقيسه على
موضع النداء نصباً، ففي قولهم: إنا معشر العرب نفعل كذا وكذا يقدّر فعل "أعني" ليُفسر نصب "معشر"،
ولأن "إنا نفعل كذا وكذا كلام تام" و"معشر العرب" مقحمة لتوضيح مَنْ "نحن" لذا اضمّر فعل "أعني".

أما بالنسبة لحرف الجر فقد يحذف ويبقى عمله أو لا يبقى، فما لا ينبغي عمله: مررت رجلاً أو
دخلت الدار^(١٣)، ومما يبقى عمله مع حذفه حذف "رب" مثل "ويلدة ليس بها أنيس".

ويعمل حرف الجرّ بينما الموضع موضع رفع، كما مع مثل "رب" ومثل "هل من رجل" فالكلام،
كما يقول سيوييه، بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ. وكذلك: ما من رجل، وما من شيء^(١٤). ومما جاء من
الشعر في الاجراء على الموضع، يقول سيوييه، "قول عتيبة الأسدي:

^(١٣) يقول ابن دريد في "الجمهرة" في الجزء الثالث، ص ١٣١٨: "ثم رأيت العرب قد لغت الحال حتى جرى الكلام بالغائبين فقالوا:
خرجت الشام ودخلت الكوفة وانطلقت الغور، فأنفذت هذه الأحرف في البلدان كلّها المضمّر فيها؛ ومن قال هذا لم يقل ذهب عبد الله
ولا كتبت زيدا وما اشبهه لأنه ليس بناحية ولا محل، وإنما حاز في البلدان لأنها نواح إذ كثر استعمالهم أياها". وفي ص ١٣١٩ يقول:
"ويقولون تعلقتك وتعلقت بك وكلفتك وكلفت بك. وإنما سهّل في الباء لأنها اصل لجميع ما وقعت عليه الأفعال إذا كتبت عنها بفعلت،
الا ترى انك تقول: ضربت احاك فاذا كتبت عن ضربت قلت: فعلته. قال الله عز وجل: "وزوجناهم بحور عين"، أي حوراً عيناً، وهي
لغة لأزد شنوة يقولون: زوجته بها، وغيرهم يقول: زوجته أياها ولذلك اجزأت العرب على الحال فاسقطوها من الأسماء وأوقعوا الأفعال
عليها.

^(١٤) الكتاب، ج ٢، ص ٢٧٥.

مُعَاوِيَ إِنَّا بَشَرٌ فَأَسْجَحْ

فلسنا بالجبال ولا الحديد

لأن الباء دخلت على شيء لو لم تدخل عليه لم يُخَيَّلَ بالمعنى ولم يُحْتَجَّ إليها وكان نصباً. الا ترى انهم يقولون: حسبك هذا وبحسبك هذا، فلم تغيّر الباء معنى^(١٥).

كذلك تضمّر لام الأمر ويبقى عملها:

لك الويلُ حرُّ الوجه أو يبك من بكى

على مثل اصحاب البعوضة فاحمّشي

" أراد"، يقول سيبويه "ليبك"^(١٦).

رابعاً: في كون التقدير يمثل تدخلاً من سيبويه في تفسير الجمل

يتدخل سيبويه لتفسير الجمل من منظوره هو، وانطلاقاً من عدم اكتفائه بالوصف، بل يُعمل المنطق ليحلل ويفسر الجمل. ففي جملة " قد مرتت برجل إن طويلاً وإن قصيراً" لا يجيز سوى النصب، لأنك لا تستطيع أن تقول: "إن كان فيه طويلاً، وكذلك لا يجوز على إن وقع".

و"يتدخل" سيبويه في تفسير الجمل في القرآن وغيره في مثل "السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" و"الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة" "فتدخلة" هنا على وجهين، الأول منهما: فهمه وشرحه بناءً على ما سبق من كل من الآيتين؛ والثاني: قضية العامل. فهو يريد ان يبرر الرفع فلا يقدر فعلاً سبق، بل يشرح الأمر من منطلق آخر، وهو هنا وصفي في عمله فيما يتعلق بالقرآن: لأن القراءة سنة، فهو يجعل "السارق والسارقة" جملة على تقدير خبر و " فاقطعوا ايديهما" جملة ثانية وكذلك مع الآية

^(١٥) نفسه، ج ١، ص ٦٧.

^(١٦) نفسه، ج ٣، ص ٩.

الثانية. وقد قلنا انه وصفي هنا في عمله لأنه يقول ان اناساً قد قرأوا بالنصب ولكن العامة ابت الا القراءة بالرفع^(١٧).

ومن هذا القبيل قوله: "رأيت عبد الله زويداً مررت به، ولقيت قيساً وبكراً أخذت اباه، ولقيت خالداً وزويداً اشتريت له ثوباً.

ويضيف "وإنما اختير النصب ههنا لأن الاسم الأول مبني على الفعل فكان بناء الآخر على الفعل أحسن عندهم إذ كان يُبنى على الفعل وليس قبله اسم مبني على الفعل، ليجري الآخر على ما جرى عليه الذي يليه قبله، إذ كان لا ينقض المعنى لو بنيته على الفعل. وهذا أولى ان يُحمَل عليه ما قرَّب جوارَه فيه، إذ كانوا يقولون: ضربوني وضربتُ قومك، لأنه يليه، فكان أن يكون الكلام على وجه واحد - إذا كان لا يمتنع الآخر من أن يكون مبنيًا على ما يُبنى عليه الأول - أقرب إلى المأخذ"^(١٨).

نلاحظ هنا أمرين، أولهما: عدم نقض المعنى (وهذا يجيء عليه الكلام فيما بعد). والثاني: كون سيبويه يحبز عطف جملة فعلية على جملة فعلية وهنا نتذكر التناسق الذي تحدث عنه د. بعلبكي في مقاله في ZAL (صفحة ٩٠ من هذه الدراسة).

ويبرز تدخل سيبويه في فهمه للكلام وعدم اكتفائه بالوصف في الشعر مثل:

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً...

فيضمّر "كان" تبعاً لنظريته من أن "إن" لا يليها إلا الفعل، ولكن تفسيره منطقي هنا وإضمار "كان" (مع اسمها) يفسر البيت.

وكذلك يفعل في البيت التالي:

^(١٧) نفسه، ج ١، ص ١٤٤.

^(١٨) الكتاب، ج ١، ص ٨٨.

أبا خراشة أما أنت ذا نفر... .

فهو يضمّر "كان" أيضاً (ويصح دخول هذا البيت تحت عنوان تفسير الظواهر الإعرابية) وتحليله منطقي، أعني أنه مبني على المنطق .

ورغم أنه يخرج قراءة "والمقيمين الصلاة" على المدح إلا أنه يعلّق قائلاً "فلو كان كلُّه رفعاً كان جيداً"^(١٩).

ويلفت النظر هنا قول شوقي ضيف متحدثاً عن الخليل: "وليست المسألة عنده مسألة سماع وشواهد فحسب، فقد جعله استقراؤه للغة العرب تستقر في نفسه سليقتهم استقراراً مكّنه من ضبط القواعد النحوية والصرفية ضبطاً يبهز كل من يقرأ مراجعات سيبويه له"^(٢٠).

خامساً: في وجود شروط للتقدير

من شروط سيبويه في عملية التقدير ألا ينقض المعنى بالمقارنة مع التركيب الأصلي قبل تطبيق التقدير .

ففي كلامه على التحذير ووجوب "الواو" بين "إياك" والاسم، في مثل إياك والأسد، يضع سيبويه اختياريين في تفسير الواو، فهي إما "واو" المعية أو "واو" عاطفة تجمع جملتين متوازيتين بشكل لا ينقض معنى "مع" من الحديث. فهو في اختياره الثاني يجمع أمرين، أولهما: أنه يجعل الجملة الواحدة جملتين متوازيتين، وثانيهما: أن التقدير هنا لا ينقض المعنى. يقول سيبويه بعد ذكر احتمال أن تكون الواو بمعنى "مع": "وإن شئت لم يكن فيه ذلك المعنى، فهو عربيٌ جيد، كأنه قال: عليك رأسك وعليك الحائط (في مثل

^(١٩) الكتاب، ج ٢، ص ٦٣.

^(٢٠) شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص ٤٧.

رأسك والحائط)، وكأنه قال: دع امرأ ودع نفسه (في مثل امرأ ونفسه)، فليس ينقض هذا ما أردت في معنى "مع" من الحديث^(٢١). وكما يهتم ألا ينقض المعنى يهمله، من المنطلق نفسه، أن يخلق جملتين متوازيتين ليحقق تناغماً، فهو يقدر في مثل زيداً لقيت أخاه: "لابست زيداً لقيت أخاه ولكن هذا تمثيل لا يتكلم به"^(٢٢). وهو يجعل الجملتين متوازيتين حتى حين يتعدى الفعل بحرف الجر، فرغم أن النصب بعيد في "زيد مررت به"، فهو ممكن على إضمار فعل وخلق جملتين متوازيتين بما لا ينقض المعنى فيمثل على ذلك ب: جعلت زيداً على طريقي مررت به، ولكنه يؤكد على عدم إظهار الفعل الأول المفسر.

"ولا يجوز أن تضمّر تنحّ عن الطريق، لأن الجار لا يضمّر، وذلك أن المجرور داخل في الجار غير منفصل، فصار كأنه شيء من الاسم لأنه معاقب للتونين، ولكنك إن أضمرت أضمرت ما هو في معناه مما يصل بغير حرف إضافة"^(٢٣). (اترك الطريق مثلاً).

سادساً: تقدم بعض الحروف على غيرها في التقدير

نستطيع أن نمثل هنا "بأن" الناصبة التي تضمّر بعد "او" المعية والفاء السببية وأو، الخ. والسبب الرئيسي يعود الى أن "أن" تسبك مع الفعل فيصير مصدرأ أي اسماً مما يمكن من عطف اسم على اسم كما في البيت التالي:

للبس عباةً وتقرّ عيني أحب إلي من لبس الشفوف

إذ يقول: "لما لم يستقم ان تحمل وتقرّ وهو فعل على لبس وهو اسم، لما ضمّمته الى الاسم، وجعلت أحب

(٢١) الكتاب، ج ١، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٢٢) الكتاب، ج ١، ص ٨٣.

(٢٣) نفسه، ص ٢٥٤.

لهما ولم ترد قطعه، لم يكن بُدُّ من إضمار أن^(٢٤).

كذلك إضمار "إن" في جواب الأمر، ففي مثل ليته عندنا يحدثنا أو ألا تنزل تصبُ خيراً، يقول:
"وزعم الخليل أن هذه الأوائل كلها فيها معنى إن، فلذلك انجزم الجواب لأنه إذا قال انتني آتِك فإن معنى
كلامه إن يكن منك إتيان آتِك..."^(٢٥).

وقد نشأ عن تقديم بعض الحروف على غيرها في التقدير أنها أضحت - كما في عبارة النحاة -
"أمّ الباب"، وسائر الأدوات أخوات، ولنا ان نلاحظ هنا أن شروط عمل "الأم" أقل من شروط عمل
الأخوات، انطلاقاً من المبدأ النحوي القائل: إن الفروع لا تبلغ رتبة الأصول.

سابعاً: إسقاط أجزاء من الكلام

يقرّ سيبويه مبدأ إسقاط أجزاء من الكلام تسهياً وإسراعاً في مثل التحذير فنقول: اياك! وتكتفي
لأن المجال لا يسمح بايضاح ما تريد. فهو - أي سيبويه - بعد ان يوضح بأنك كأذك قلت: اياك اتق...
الخ؛ يؤكد ان هذا لا يجوز فيه إظهار ما أضمرت "ولكن ذكرته لأمتل لك ما لا يظهر إضماره".
كذلك تسقط أجزاء من الكلام تسهياً في مثل لا بأس ولا عليك ولا رجل ولا شيء.
وفي الحذف استخفافاً حذف المستثنى كما في قولك: ليس غيرُ وليس إلا كأنه قال: ليس إلا ذاك
وليس غير ذلك.

وتحذف أدوات النداء تخفيفاً وإسراعاً في الكلام وهذا واضح.

^(٢٤) الكتاب، ج ٣، ص ٤٦.

^(٢٥) نفسه، ج ٣، ص ٩٣ - ٩٤.

وحيث يتحدث عن كم وهي غير ظرف أي أنها تُعرب حسب موضعها من الكلام في مثل: كم ولد له؟ فهي في محل نائب فاعل مرفوع، والجواب: ستون عاماً. فستون نائب فاعل على الإيجاز (في اللفظ) لأن المعنى وُلد له الولدُ ستين عاماً فأضمر للإيجاز^(٢١).

ثامناً: إقامة الجملة على مبدأ الإسناد

المسند والمسند إليه ركنان تقوم عليهما أسس نظرية سيبويه في الجملة. فالكلام لا يكتمل إلا بوجود العنصرين فإن لم يوجد أحدهما فهو مضمّر مقدّر. فبعد إذا الفجائية مثلاً يضمّر المبتدأ كما في قولنا: "مررتُ به فإذا أجملُ الناس" أي "هو".

ويقدر الخبر إذا تعلّق به جارٌّ ومجرور أو ظرف أو اسم استفهام مما يدل على مكان أو مستقر أو حالة: مثل: ثمّ زيدٌ وههنا عمرو، وأين زيدٌ. فالخبر مقدّر على "الوجود" أو "الكون".

وأوضح من ذلك إضمار الخبر بعد لولا، حيث نقول: "لولا عبُدُ الله لكان كذا وكذا" فهذا "الوجود" و"الكون" و"الاستقرار" هي ما يضمّر وجوباً لأن الجملة لا تتمّ بدون المسند.

وهذا يذكرنا بوجود فعل الكون في أكثرية اللغات الهندو-أوروبية فيما يكوّن عندنا الجملة الاسمية (في الزمن الحاضر) كما نقول في الإنجليزية: He is here. (الاستثناء الوحيد الذي أعرفه هو في اللغة الروسية حيث تكون جملة He is here دون فعل الكون ظاهراً كما في العربية فنقول OH zgecb).

ولكن الإسناد لا يقف عند الجملة الاسمية وحدها، بل تدخل الجملة الفعلية في هذا السياق، وإضمار الفاعل، على قلة، في التنازع دليل على الإسناد مثل قول طفيل الغنوي:

وكمثماً مدمّاة كأن متونها جري فوقها واستشعرت لون مذهب

^(٢١) الكتاب، ج ١ ص ٢١١.

ففاعل "جرى" معنوي أو مقدر لإعمال الفعل الثاني.

نرى مما مضى أن سيبويه قد حاول إقامة نظرية نحوية متكاملة بعد أن "تضج" النحو في عصره. وتتأكد من ذلك من خلال ذكره للنحويين الذين عرض لأرائهم خلال الكتاب. (لكن أهمهم والمشارك والمخطط، ربما، هو الخليل بن أحمد).

وقد قامت نظريته على جملة أمور منها استقراره للغة قدر الإمكان فلا يمكن الإحاطة باللغة في أي حال. ومن خلال استقراره أنشأ نظريته التي دارت حول العامل مما أدى به إلى التقدير لإيجاد العامل. غير أن هذا ليس أمراً مردولاً بل على العكس، فإننا بعد اطلاعنا على نظريات تشومسكي التحويلية - التوليدية ولانهائية اللغة - بمعنى أننا نتجج جماً لم نسمعها من قبل، أو أن الفهم اللغوي يتعلق بالحدس والعقلانية وهو ينبع من وعي المستعمل للغة، وأن ما يظهر على السطح ما هو إلا تعبير صوتي تركيبى لا يؤدي المعنى دون لبس إلا من خلال العمليات العقلية الداخلية - فإننا بعد هذا نستطيع أن نقول إن التقدير عمل أساسي يؤدي وظيفته في فهم المعنى ويقرر للإعراب دوراً رغم تعدد الاحتمالات.

لقد اصطدم سيبويه "بعوائق" أدت به إلى التمثل أحياناً ولكن نظريته النحوية أثبتت قدرتها على التعامل مع اللغة بنجاح، وقد ترك للمتأخرين مهمة إكمال النظرية فمنهم من قطع شوطاً كبيراً، على عكس ما يُظن من أن النحويين المتأخرين تاهوا في التعليقات فقط.

المهم أن سيبويه أقام نظريته على أسس وصفية ولم يكن بإمكانه تجنب قضايا الاشتغال والتنازع مثلاً لورودها في اللغة، وحاول، عقلياً، أن يستنبط الأحكام بالقياس، ولا سبيل آخر لهذا، لأن اللغة كما قلنا لانهائية ولا يمكن المضي في الاستقراء مهما حاول النحوي؛ والتعديد، باعتراف الوصفيين، ومنهم الدكتور تمام حسان، نتيجة لا بُدَّ منها بعد الاستقراء، وإلا فما هو عمل النحوي؟

ولنأخذ قضية التنازع مثلاً، وهي القضية التي اثارَت لغطاً بين النحويين القدامى والمحدثين: بين القدامى، في أي من الفعلين هو العامل. وبين المحدثين إذ إن منهم من دعا إلى تقليل الاهتمام بهذه القضية من اللغة وعدم إفراد باب خاص لها، لأنه لا قيمة حقيقية لها (إلا في الضرورة الشعرية)^(٢٧).

ولندع جانباً ما استقرأه سيبويه بحيث ضمن هذه القضية كتابه، ومنتقل إلى مثال يضعه أمامنا عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، ففي باب "القول في الحذف" يقول: "وإذا أردت ما هو صريح في ذلك ثم ما هو نادر لطيف ينطوي على معنى دقيق وفائدة جليلة فانظر إلى بيت البحري:

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤُ
دَدَ والمجدِ والمكارم مثلاً

المعنى قد طلبنا لك مثلاً ثم حُذِفَ لأن ذكره في الثاني يدل عليه. ثم إن للمجيء به كذلك من الحُسن والمزية والروعة ما لا يخفى. ولو أنه قال: طلبنا لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً فلم نجده: لم ترَ من هذا الحُسن الذي تراه شيئاً. وسبب ذلك أن الذي هو الأصل في المدح والغرض بالحقيقة هو نفي الوجود عن المثل، فأما الطلب فكالشئ يُذكر ليبنى عليه الغرض ويؤكد به أمره. وإذا كان هذا كذلك فلو أنه قال: قد طلبنا لك السؤدد والمجد والمكارم مثلاً فلم نجده: لكان يكون قد ترك أن يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المثل وأوقعه على ضميره ولن تبلغ الكناية به مبلغ الصريح ابداً^(٢٨).

وهذا دليل على أن الحذف - حذف المفعول به للفعل الأول - يجعل المعنى ابلغ لأنه يذكر المثل مفعولاً به للفعل الثاني (لم نجد) ولو ذكر المحذوف أولاً. ثم كنى عنه أو جعل ضميراً يدل عليه لضعف المعنى.

والتنازع، على كل حال، ليس خاصية تختص بها اللغة العربية، ففي الانجليزية يقع التنازع

(٢٧) انظر مهدي المخزومي، في النحو العربي - نقد وتوجيه، ص ١٦١ - ١٦٨.

(٢٨) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، حققه وقدم له محمد رضوان الداية وغازي الداية، ط ٢، دمشق، ١٩٨٧، ص ١٧٨ - ١٧٩.

بحيث يحدث حيرة. فمع either في الجملة التالية نجد أن القرار في استعمال صيغة الفعل صعبة:

Either your brakes or your eyesight is at fault.^(٢٩)

ومثله، في الموضع نفسه:

He asked her whether one lecture or two? was/? were to be given.

بينما يقرر المؤلفان أنه في الجملة:

Either your eyesight or your brakes are at fault.

فإن قاعدة "القرب" تتدخل وتقرر صيغة الجمع.

وفي كل الأحوال فالشعر، وإن كان له مستوى خاص به من مستويات اللغة، فهو من اللغة ولا يجوز للنحوي إهماله، والنحو وسيلة، من عدة وسائل، لفهم الشعر. ويمكن لمثال الحذف أن يؤدي جمالاً للمعنى، كالذي لاحظته الجرجاني، من اللغة الإنجليزية التي لا تبيح حذف فعل "الكون" to be، يقول Pope

في: Essay on Criticism^(٣٠)

To err is human, to forgive divine.

Randolph Quirk and Sidney Greenbaum, University Grammar of English, tenth impression, ^(٢٩)
London: Longman Group limited, ١٩٨٠, p. ١٧٨.

Extracted from Adventures in English Literature, ed. by Rewey Belle Inglis et al. New York, ١٩٥٢, ^(٣٠)
p. ١٧٣.

الفصل الرابع
المقارنة بأراء الكوفيين

رغم اننا ركزنا على سيبويه في مسألة التقدير، الا اننا يجب الا ننسى ان سيبويه رأس مدرسة البصرة^(١)، وحين تذكر مدرسة البصرة تذكر فوراً مدرسة الكوفة في النحو، وكان على رأسها الكسائي والفراء وثلعب.

لذلك ارتأينا ان نخصّص فصلاً يعالج بعض مسائل الخلاف في قضايا التقدير والاضمار، خاصة انه يخطُرُ على الذهن كتاب "الانصاف في مسائل الخلاف" للأنباري المتوفى في سنة ٥٧٧ للهجرة؛ وان تكن قضايا الخلاف بين المدرستين دارت في كثير من كتب النحو، بعضها تخصص في قضايا الخلاف "كالتبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين" للعكبري المتوفى في القرن السابع للهجرة؛ وكتاب "اتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة" لعبد اللطيف بن ابي بكر الشرجي الزيبيدي اليماني المتوفى اوائل القرن التاسع للهجرة. واكثر كتب النحو المتأخرة ذكرت موضوعات الخلاف وعرضت الآراء حيث اقتضت الحاجة، على سبيل المثال "شرح المفصل" لابن يعيش "وهمع الهوامع" للسيوطي.

يركز هذا الفصل على قضايا الخلاف في مسائل التقدير، وقد نذكر بعض من خالفوا سيبويه من البصريين في التقدير احياناً.

ومن هذه المسائل مسألة التنازع^(٢) والفعل الأولى بالعمل، فقد ذهب البصريون الى ان اعمال الفعل الثاني أولى لقربه من المعمول، أما الكوفيون فقالوا ان الفعل الأول هو العامل لأنه اسبق. واتى كل من الفريقين بشواهد يعزّز بها مقولته، فمن شواهد الكوفيين قول المرار الأسدي:

وقد نغنى بها ونرى عصوراً
بها يقتلنا الخرد الخدالا

(١) نستخدم كلمة "مدرسة" في هذا السياق واعين الخلاف في التسمية نفسها. وبما ان هذا الخلاف يخرج عن الأطر المحددة لهذه الدراسة، فاننا نكتفي بالقول ان بين البصريين والكوفيين خلافات محدودة يصحّ معها القول ان هناك اتجاهاً لكل منهما يميّزه عن الآخر، الا انهما يشتركان في الأصول اشتراكاً كبيراً لا يميز لنا ان نلعب مع بعض النارسين، الى جعلهما مدرستين منفصلتين في الدراسة النحوية.

(٢) المسألة في "الانصاف"، ص ٨٣. وفي "اتلاف النصر" ص ١١٣.

ومن شواهد البصريين قول رجل من باهلة:

ولقد أرى تَخْنَى به سيفانَةٌ تصبي الحليم ومثلها أصباه

ويقرر الكسائي في نحو "جاء وقعد الزيدان" ان الفاعل فاعل الفعل الثاني وفاعل الأول محذوف^(٣)، وذلك بناءً على مذهبه في جواز حذف الفاعل في هذا الباب عند اعمال الثاني فراراً من الاضمار قبل الذكر. وقال الفراء^(٤) هو فاعلهاما توجيهاً للعاملين الى الاسم الظاهر، وبناءً على منع الاضمار في الأول عند اعمال الثاني. ويوحّد ابن يعيش المذاهب كلها، فتقول قاما وقعد اخواك على مذهب سيبويه وتقول قام وقعد اخواك على مذهب الكسائي وتوحّد الفعلين جميعاً... وتقول على مذهب الفراء قام وقعد اخواك فتوحّد الفعلين ايضاً لعمليهما في الاسم الظاهر^(٥).

اما في الاشتغال^(٦) فقد ذهب الكوفيون الى ان نحو قولهم: زيداً ضربته منصوب بالفعل المتصل بالهاء الواقع عليها، وذهب البصريون الى انه منصوب بفعل مقدّر والتقدير فيه ضربتُ زيداً ضربته (كما رأينا عند سيبويه من خلقه جملتين متوازيتين) فالكوفيون يفرون من التقدير.

أما الاختصاص نحو "نحن بني، ومعشر، ورهط التي يقيسها سيبويه على النداء فيضمّر فعلاً فان "تعلباً" ينقل عن الفراء انها مثل "جميعاً" (أي على الحال)^(٧). وهو ينشد شطراً من ارجوزة لبيد:

نحن بنو أمّ البنين الأربعة:

(٣) المتوفى في النحو الكوفي للكنزراوي، ص ٢٣. والتبيين عن مذاهب النحويين للعكبري، ص ٢٥٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) شرح المفصل، ج ١، ص ٧٩.

(٦) "الانصاف"، ص ٨٢. "اتتلاف النصرة"، ص ١١٣.

(٧) مجالس تغلب، ج ٢، ص ٤٢٣.

ويقول ان من العرب من ينشدها نصباً: نحن بني أم البنين الأربعة. ويقول: "وليس بالوجه لأنه ليس بالمدح يمدح نفسه بأن عددهم اربعة. والعرب تفعل هذا في بني، ورهط، ومعشر وآل. قال الفراء: كأنهم قالوا نحن جميعاً نقول ذلك"^(٨).

وعن الظروف قال الكوفيون^(٩): كلُّ ظرف جاء منصوباً فنصبه على الخلاف (وهو من مصطلحاتهم يعتبر عاملاً معنوياً)^(١٠) اذا وقع خبراً لمبتدأ وشبهه؛ لأن خبر المبتدأ هو المبتدأ في المعنى، فاذا كان ظرفاً لم يكن كذلك. وقال ثعلب انه ينتصب لأن الأصل في قولك "امامك زيد" حلَّ امامك، فحذف الفعل وهو غير مطلوب واكتفى بالظرف منه فبقي منصوباً على ما كان عليه مع الفعل. وذهب البصريون الى انه ينتصب بفعل مقدر، والتقدير فيه: "زيد استقر امامك"^(١١).

ويبدو لي ان المسألة بين "ثعلب" والبصريين مسألة مصطلح بين حذف وتقدير والتقدير يشمل الحذف، ومعنى حلَّ كمعنى استقر، وفعل استقر لا يظهر بآية حال.

اما المفعول معه عند الكوفيين فمنصوب ايضاً على الخلاف^(١٢)، والفراء يأتي بمصطلح آخر هنا وهو "الصرف"، فهو يقول في قوله تعالى " ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون" (الاية ٤٢ من سورة البقرة): "ان شئت جعلت "وتكتموا" في موضع جزم... وان شئت جعلت هذه الأحرف المعطوفة بالواو نصباً على ما يقول النحويون من الصرف، فان قلت: وما الصرف؟ قلت: ان تأتي بالواو معطوفة على كلام في اوله حادثة لا تستقيم اعاتها على ما عطف عليها، فاذا كان كذلك فهو الصرف كقول الشاعر:

(٨) المصدر السابق، ص ٤٤٣.

(٩) "اتلاف النصر" ص ٣٥.

(١٠) للمختار احمد ديره، دراسة في النحو الكوفي، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(١١) الانصاف، ص ٢٤٥.

(١٢) اتلاف النصر، ص ٣٦. الانصاف ٢٤٨.

لا تَنَّهُ عن خُلُقٍ وتَأْتِي مثله

عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمًا^(١٣)

بينما يقدّر سيبويه "ان" مضمرة وان كان شرحه للبيت وتفريقه بين معنى الفاء والواو يوحي بمعنى الصرف الذي تكلم عنه الفراء. ورغم ان الأخفش الأوسط قال في الآية "ولا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ": ان شئت جعلت "وتكتموا الحق" نصباً اذا نويت ان تجعل الأول اسماً فتضمير مع "تكتموا" "ان" حتى تكون اسماً^(١٤)، الا انه في موضع آخر يقول في الآية ١٠٢ من سورة التوبة "وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً" انه يجوز في العربية ان يكون بأخر، كما تقول استوى الماء والخشبة، أي بالخشبة: خلطت الماء واللبن أي باللبن^(١٥) لأنه اراد المعنى.

في "اتلاف النصره"^(١٦) يقول المؤلف ان الكوفيين قالوا انه يحذف حرف النداء من اسم الجنس، كقولهم: "أطرق كرا" وافتد مخنوق" واصبح ليل"، وقد رد هذا البصريون. وقال سيبويه: "وليس هذا بكثير ولا قوي"^(١٧).

الاسم الواقع بعد "لو" عند البصريين مبتدأ ثم قيل لا خبر له، وقيل خبره محذوف من نحو "لو ذات سوار لطمتي". ومذهب الكوفيين وتبعهم الزمخشري وابن مالك وغيرهما انه فاعل فعل (ثبت) مقدرًا^(١٨).

في "اتلاف النصره" و"الاتصاف" ان الكوفيين جوزوا العطف على الضمير المجرور من غير اعادة العامل لمجيئه كثيراً في القرآن والحديث والشعر، نظماً ونثراً كما في قراءة (والأرحام) ومنع ذلك

^(١٣) معاني القرآن للفراء، ج ١، ص ٣٣ - ٣٤.

^(١٤) معاني القرآن للأخفش، تحقيق فائق فارس، ج ١، ص ٦٤.

^(١٥) المصدر المذكور، ج ٢، ص ٣٣٦.

^(١٦) اتلاف النصره، ص ٥٧.

^(١٧) الكتاب: ج ٢، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

^(١٨) اتلاف النصره، ص ٥٩.

البصريون لأن الجارَ والمجرور بمنزلة شيء واحد^(١٩). بينما يقول الفراء في: (الذي تساءلون به والأرحام) فنصب الأرحام يريد واتقوا الأرحام ان تقطعوها... "أما قراءة الخفض فيقول فيها: "هو كقولهم بالله وبالرحم وفيه قبح لأن العرب لا ترد مخفوضاً على مخفوض، وقد كنى عنه^(٢٠)". (كنى عنه أي جاء بالضمير (به) هنا).

في المسألة ١٠٢ من "الاتصاف"^(٢١) يقول الأنباري: "ذهب الكوفيون الى ان ايهم اذا كان بمعنى الذي وحذف العائد من الصلة مُعْرَبٌ، نحو قولهم "لأضربنَّ أيهم افضل"، وذهب البصريون الى انه مبني على الضم، واجمعوا على انه اذا ذكر العائد انه معرب، نحو قولهم "لأضربنَّ أيهم هو افضل"، وذهب الخليل بن احمد الى ان "ايهم" مرفوع بالابتداء "وافضل" خبره ويجعل "ايهم" استفهاماً، ويحملة على الحكاية بعد قول مقدر، والتقدير عنده: لأضربنَّ الذي يُقال لهم أيهم افضل". وقول الأنباري صحيح، ولكن سيبويه يقول: "وحدثنا هارون ان ناساً، وهم الكوفيون، يقرؤونها (يعني الآية): (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم اشد على الرحمن عتياً)، وهي لغة جيدة^(٢٢)". ويقول الفراء: "من نصب "ايا" (في الآية) اوقع عليها النزاع وليس باستفهام، كأنه قال: ثم لنستخرجنَّ العاتين الذي هو اشد^(٢٣)". ثم يوجه الرفع على ان يكتفي الفعل "بمن" ثم تستأنف "ايا" فترفعها بالذي بعدها (أي مبتدأ و خبر) والمبتدأ والخبر في محل نصب للفعل. ثم يجعل وجهاً آخر للرفع في الآية فينظر اليها على انها مثل: "لننزعن من الذين تشايعوا على هذا، ينظرون بالتشايح ايهم اشد واخبث، وايهم اشد على الرحمن عتياً"^(٢٤)، يقيسه على الآية ٥٧ من الإسراء

^(١٩) المصدر السابق، ص ٦٢. و"الاتصاف"، ص ٤٦٣.

^(٢٠) معاني القرآن للفراء، ج ١، ص ٢٥٢.

^(٢١) الاتصاف، ص ٧٠٩.

^(٢٢) الكتاب: ج ٢، ص ٣٩٩.

^(٢٣) معاني القرآن للفراء، ج ١، ص ٤٧.

^(٢٤) المصدر السابق، ص ٤٨.

(يبتغون الى ربهم الوسيلة ايتهم اقرب) أي ينظرون ايتهم اقرب. ويخيل الي ان اختيار سيبويه الرفع والنصب معاً: الأول على البناء كما في خمسة عشر وهو قليل عنده والثاني (أي النصب) مقياساً على "اضرب الذين افضل"^(٢٥).

في "انتلاف النصره" و "الانصاف"^(٢٦) ان الكوفيين ذهبوا الي ان واو رُبّ تجرّ بنفسها واليه ذهب المبرد^(٢٧) من البصريين لأنها نائبة "رُبّ" وهي تعمل الخفض وكذلك الواو لنيابتها عنها فهي كواو القسم لما نابت عن الباء عملت عملها فكذلك الواو هنا.

وذهب البصريون الي انها لا تعمل وانما العمل لـ "رُبّ" المقدرة لأن هذه حرف عطف، وحرف العطف لا يعمل شيئاً، إذ الحرف لا يعمل الا اذا كان مختصاً، وحروف العطف "غير مختصة فوجب الا تكون عاملة والعمل لـ "رُبّ" المقدرة.

في شأن "مُذّ" و"منذ"^(٢٨) ذهب الكوفيون الي انه اذا ارتفع الاسم بعدهما، فانه يرتفع بفعل محذوف لأتھما مركبان من "من" و"إذ"، لأنه قد يقال "مُنذُ" و"مِنذُ"، فالكسر على الأصل والضم للتناسب وكسر الميم يدلّ على انها مركبة من "من" و"إذ" واذا كانا مركبَيْن كان الرفع بعدهما بتقدير فعل لأن الفعل يحسن بعد "إذ". ونقل عن الفراء انه قال انما هو مرتفع بتقدير مبتدأ محذوف.

وذهب البصريون الي انها يكونان اسمين مبتدئين يرتفع ما بعدهما خبراً لهما، ويكونان حرفين فيكون ما بعدهما مجروراً بهما لأتھما مقدران بالأمد. وفي "الكتاب" يذكر الضم في مُنذُ فيمن جرّ بها لأنها بمنزلة "من" من الأيام^(٢٩). واما "منذُ" فانها ضمت للغاية، ومع ذا ان من كلامهم ان يتبعوا الضمّ الضم،

^(٢٥) الكتاب، ج ٢، ص ٤٠٠ - ٤٠١.

^(٢٦) انتلاف النصره، ص ١٤٥ - ١٤٦. الانصاف، ج ١، ص ٣٧٦.

^(٢٧) انظر المقتضب، ج ٢، ص ٣١٩ و ٣٤٨.

^(٢٨) انتلاف النصره، ص ١٤٦. الانصاف، ج ١، ص ٣٨٢.

^(٢٩) الكتاب، ج ١، ص ١٧.

كما قالوا رُدُّ يا فتى^(٣٠). والخليل، في الموضوع نفسه، يعد "مذ" و"منذ" من الظروف، لذا نرجِّح أنه في :
 "مذ عامٌ أولٌ" يعتبر كلمة "عام" مبتدأ، ولا خلاف عنده في الجر بمذ^(٣١).

أما عند "المبرد" "مذ" إذا رفعت فهي اسم مبتدأ وما بعدها خبره، غير أنها لا تقع إلا في الابتداء
 لقلة تمكنها وانها لا معنى لها في غيره "وذلك قولك لم آت مذ يومان، والمعنى لم آره، ثم خيِّرت بالمقدار
 والحقيقة والغاية فكانك قلت: مدة ذلك يومان^(٣٢)". فلا خلاف في كونها للغاية بين المبرد وسيبويه بل في
 اعرابها على ما يبدو.

عند البصريين اللام في قولهم "زيدٌ افضل من عمرو لام ابتداء بدليل انها اذا دخلت على
 المنصوب في باب "ظننت" اوجبت له الرفع ودفعت عنه عمل ما قبله، فدل على انها لام ابتداء.
 بينما يذهب الكوفيون الى انها (اللام) جواب قسم مقدر، تقديره: والله لزيدٌ افضل من عمرو،
 فاضمر اليمين اكتفاء باللام منها، ودليلهم على ذلك ان هذه اللام يليها المفعول نحو: لطعامك زيدٌ آكلٌ، فلو
 كانت لام ابتداء للزم ان يكون ما بعدها مرفوعاً ولما جاز ان يليها المفعول.
 ويرد البصريون هذا بأنه على التقديم والتأخير^(٣٣).

ذهب الكوفيون الى ان "أن" الخفيفة المفتوحة تعمل في الفعل المضارع النصب مع الحذف من
 غير بدل. (يرى ثعلب" ان الرفع هو القياس)^(٣٤). ويستشهد الكوفيون على هذا بقراءة عبد الله بن مسعود
 (واذا اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدوا الا الله) ننصب "تعبدوا" " بأن" مقدرة.

(٣٠) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٧.

(٣١) المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٣٢) المقنضب، ج ٣، ص ٣٠.

(٣٣) ائتلاف النصر، ص ١٤٧. الانصاف، ج ١، ص ٣٩٩.

(٣٤) مجالس ثعلب، ج ١، ص ٣١٧.

وذهب البصريون الى انها لا تعمل من غير بدل لأنها من عوامل الأفعال، وعوامل الأفعال خفيفة لا تعمل مع الحذف من غير بدل. اما قراءة عبد الله بن مسعود فهي شاذة، وليس للكوفيين فيها دليل، لأن "تعبدوا" مجزوم "بلا" التي للنهي. هذا قول مؤلفي ائتلاف النصره والائتصاف^(٣٥).

اما سيبويه فيذكر قراءة (لا تعبدون) في الحلف^(٣٦). ويحمل حذف "أن" مع عملها في الشعر:

فلم ارَ مثلها خباسةً واحدٍ ونهنت نفسي بعدما كدت اقلع^(٣٧)

وفي الجزء الثالث من الكتاب يذكر بيت طرفه بن العبد:

الا ايها الزاجري احضر الوغى وأن اشهد اللذات حل انت مخلدي^(٣٨)

ويقول الفراء في (لا تعبدون) مثل قول سيبويه من ان "أن" حذف ورفع الفعل. ويضيف: "أما قراءة أبيّ (لا تعبدا) فعلى الجزم بالنهي^(٣٩). نلاحظ هنا ان الاختلاف مختلف في اضمار "أن" وبقاء عملها بين

اوائل البصريين والكوفيين. وقد قبلها سيبويه في شعر (وهو راس مدرسة البصرة النحوية).

ذهب الكوفيون الى ان لام كي هي العاملة بنفسها من غير تقدير "أن" لأنها قامت مقام كي

واشتملت على معناها فكما ان كي تنصب بنفسها كذلك ما قام مكانها.

وذهب البصريون الى ان العامل "أن" مقدرة بعدها لأن اللام من عوامل الأسماء وعوامل الأسماء

لا يجوز ان تكون من عوامل الأفعال غالباً فوجب ان يكون ما بعدها منصوباً بتقدير "أن"^(٤٠).

(٣٥) ائتلاف النصره، ص ١٥٠. الائتصاف، ص ٥٥٩.

(٣٦) الكتاب، ج ٣، ص ١٠٦.

(٣٧) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٧.

(٣٨) المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٩.

(٣٩) معاني القرآن للفراء، ج ١، ص ٥٣. وقد عزي ابن خالويه في كتابه "المختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع" قراءة (لا تعبدا) الى

ابن مسعود، ص ١٥.

(٤٠) ائتلاف النصره، ص ١٥١. الائتصاف، ص ٥٧٥.

ذهب الكوفيون الى ان لام الجحد هي الناصبة للفعل بنفسها ويجوز اظهار ان بعدها للتوكيد،

تقوله:

لقد عدلتني أم عمرو ولم اكن مقاتلتها ما كنت حياً لأسمعا

فهذا دليل على انها هي العاملة من غير تقدير "أن"، اذ لو كانت مقدرة، لكانت مع الفعل بتأويل المصدر وما كان في صلة المصدر لا يتقدم عليه. وذهب البصريون الى أن الناصب للفعل "ان" مقدرة بعدها، ولا يجوز اظهار ان بعدها كما قيل في لام كي لأنها قد صارت بدلاً من اللفظ بـ"أن". (يجيز سيوييه اظهار "أن" بعد لام كي - الكتاب، ج ٣، ص ٥ - ٦).

ويرد الأنباري شاهد الكوفيين بأن "مقاتلتها" منصوب بفعل مقدر، كأنه قال: ولم اكن لأسمع مقاتلتها، لا بقوله "لأسمعا"^(٤١).

ذهب الكوفيون الى ان "حتى" تنصب الفعل المضارع بنفسها من غير تقدير "أن" (يذكر هذا الفراء)^(٤٢). وتجر الاسم من غير جار؛ لأنها بمعنى "في" او بمعنى "الى". ويعزى الى الكسائي قوله ان الاسم ينجرّ بعدها بـ "إلى" مظهرة او مقدرة.

وذهب البصريون الى ان الفعل بعدها ينصب بان مصدرية والاسم ينجرّ بها بعينها لاجماعهم على انها من عوامل الاسم فلا يجوز ان تعمل في الأفعال بنفسها^(٤٣). (نلاحظ هنا اهمية اختصاص الحرف عند البصريين ومسألة "أن" المضمرة التي تتشكل مع الفعل مصدراً او اسماً).

(٤١) الانصاف، ص ٥٩٥.

(٤٢) معاني القرآن للفراء، ج ١، ص ١٣٦.

(٤٣) ائتلاف النصر، ص ١٥٣. الانصاف، ص ٥٩٧.

ذهب الكوفيون الى ان "لولا" يرتفع الاسم بعدها كما كان ذلك مع "لو"^(٤٤) لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم؛ لأن التقدير في قولك: لولا زيدً فعلت؛ لو لم يمنعني زيدً لفعلت الا انه قد حُذِف الفعل تخفيفاً.

وذهب البصريون الى انه يرتفع بالابتداء والخبر محذوف.

ينظر الكوفيون هنا الى المعنى فيقدرون فعلاً يدل على المنع. أما البصريون فالخبر المحذوف عندهم يدل على الاستقرار والوجود وجوباً. ويذكر ابن هشام في المغني ان بعضهم لحن المعري في قوله في وصف سيف:

يذيب الرُّعبُ منه كلَّ عَضْبٍ فلولا الغمُّ يمسه لسالا

ويعلق قائلاً: "وليس بجيد؛ لاحتمال تقدير يمسه بدل اشتمال على ان الأصل ان يمسه، ثم حُذِفَت "ان" وارتفع الفعل"^(٤٥).

ذهب الكوفيون الى ان "ما" الحجازية لا تعمل في الخبر النصب، وانما هو منصوب بحذف حرف الخفض؛ لأن الحرف لا يعمل الا اذا كان مختصاً و "ما" مشتركة، لأنها مشبهة بليس فلم تعمل. ومذهب البصريين انها هي العاملة في الخبر بنفسها، وهو منصوب بها، لأنها مشبهة بليس فعملت عملها^(٤٦).

اذا صحَّ هذا فالكوفيون اضحوا مهتمين باختصاص الأدوات. والقضية قضية لهجة ليس بالامكان معرفة لماذا قرّر اصحابها اعمال "ما"، وان كان رأي البصريين ارجح هنا للمعنى.

(٤٤) المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٤٥) مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق ح. الفاخوري، بيروت، ١٩٩١، ص ٤٤٩ - ٤٥٠.

(٤٦) ائتلاف النصر، ص ١٦٥.

ذهب الكوفيون الى ان "الا" في الاستثناء هي العاملة في المستثنى بنفسها، لأنها مركبة من "ان" و"لا" فخفت "ان" وأدغمت في اللام فنصبوا بها في الموجب اعتباراً بـ "إن" واتبعوا في غيره اعتباراً بـ "لا". وهذا قول الفراء. وذهب بعضهم الى ان العامل فيه "الا" مطلقاً واليه ذهب الزجاج والمبرد من البصريين.

وذهب البصريون الى ان العامل فعل يتوسط "الا" كالفعل يتصدى بحرف جر، كما قيل في المنصوب بعد "او" مع. يقول سيبويه بعد ان يتكلم عن الاستثناء المفرغ: "والوجه الآخر ان يكون الاسم بعدها خارجاً مما دخل فيه ما قبله، عاملاً فيه ما قبله من الكلام كما تعمل عشرون فيما بعدها اذا قلت عشرون درهماً^(٤٧)".

ويقول المبرد في المقتضب: "وذلك لأنك لما قلت: جاءني القومُ وقع عند السامع ان زيدا فيهم، فلما قلت الا زيدا، كانت "الا" بدلاً من قولك: اعني زيدا واستثنى فيمن جاءني زيدا، فكانت بدلاً من الفعل"^(٤٨).

ويرى عبد الخالق عضيمة، محقق الكتاب، ان رأي المبرد في ناصب المستثنى مخالف لرأي سيبويه فكلام سيبويه على ما فيه من اجمال يفيد ان ناصب المستثنى هو ما قبل الآ، وكلام المبرد في كتابيه الكامل والمقتضب يفيد ان الناصب هو الفعل المحذوف، و"الا" دليل وبدل منه وليس لـ"الا" عمل في المستثنى.

يرد المبرد رواية بيت يستشهد به سيبويه على الاضمار في اسلوب المفاعلة وهو:

تواحق رجلاها يداها ورأسه....

^(٤٧) الكتاب، ج ٢، ص ٣١٠.

^(٤٨) المقتضب، ج ٤، ص ٣٩٠.

ويقول - أي المبرّد - : "فأما قوله

تواهق رجلاها يديه ورأسه

فمن انشده برفع اليدين فقد اخطأ لأن الكلام لم يستغن، ولو جاز لجاز: ضارباً عبداً لله زيداً؛ لأن من كل واحد منهما ضربياً^(٤٩).

أما "تعلب" فيجيز هذا الأسلوب: "وقال أبو العباس: إذا كان الفعل من الاثنين جاز رفعهما، يقال: خاصم زيداً عمرو"^(٥٠).

ويعترض المبرّد على رواية أخرى لسيبويه الشاهد:

إذا ابنُ أبي موسى بلالٌ بلغتهِ فقام بفأس بين وصليك جازرُ

فيورده هكذا بالنصب:

إذا ابنُ أبي موسى بلالاً بلغتهِ.....

ويقول: ولو رفع هذا رافع على غير الفعل لكان خطأً لأن هذه الحروف لا تقع إلا على الأفعال، ولكن رفعه يجوز على ما لا ينقض المعنى، وهو أن يضم "بلغ" فيكون: إذا بلغ ابنُ أبي موسى. وقوله: بلغتهِ اظهر للفعل وتفسير للفاعل^(٥١).

^(٤٩) المقتضب، ج ٣، ص ٢٨٥.

^(٥٠) مجالس ثعلب، ج ٢، ص ٤٨٥.

^(٥١) المقتضب، ج ٢، ص ٧٧.

المصادر والمراجع

أ- بالعربية :

ابن خالويه. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع. تحقيق براجستر، بيروت: عالم الكتب، لا.ت.

ابن دريد، أبو بكر محمد. جمهرة اللغة. تحقيق: رمزي بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧.

ابن عقيل، بهاء الدين. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: رمزي بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٩٢.

ابن مضاء القرطبي. كتاب الرد على النحاة. تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: دار الفكرة العربي، ١٩٤٧.

ابن الناظم. شرح ألفية ابن مالك. بيروت: دار السرور، لا.ت. (نسخة مصورة).

ابن هشام الأنصاري. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. تحقيق: ح. الفاخوري، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١.

ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصل. بيروت: عالم الكتب، لا.ت.

احمد دير، المختار. دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفرّاء. بيروت: دار قتيبة، ١٩٩١.

الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة. معاني القرآن. تحقيق: فائز فارس. الكويت، ط٢، ١٩٨١.

- بعلبكي، رمزي. معجم المصطلحات اللغوية. بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٩٠.
- ثعلب، أبو العباس أحمد. مجالس الثعلب. تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٦٠.
- الجرجاني، عبد القادر. دلائل الإعجاز. تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية. دمشق: مكتبة سعد الدين، ط٢، ١٩٨٧.
- حاطوم، أحمد. كتاب الإعراب. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، ١٩٩٢.
- حسان، تمام. الأصول: دراسة إبستمولوجية لاصول الفكر اللغوي العربي. الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨١.
- _____ . اللغة بين المعيارية والوصفية. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨.
- _____ . اللغة العربية: معناها ومبناها. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣.
- دمشقية، عفيف. خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي. بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٨٢.
- الراجحي، عبده. النحو العربي والدرس الحديث: بحث في المنهج. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٩.
- الزجاجي، أبو القاسم. الإيضاح في علل النحو. تحقيق: مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، ط٥، ١٩٨٦.
- زكريا، ميشال. الاسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٦.

..... مباحث في النظرية الالسنية وتعليم اللغة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٤.

سايبير، إدوارد. اللغة: مقدمة في دراسة الكلام. الجزء الأول، ترجمه عن النص الإنجليزي وقدمه المنصف عاشور. الدار العربية للكتاب، ١٩٩٥.

سالم مكرم، عبد العال. شواهد سيويه من المعلقات في ميزان النقد. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧.

السامرائي، إبراهيم. في اللهجات العربية القديمة. بيروت: دار الحدائث، ١٩٩٤.

سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٨٣.

السيد، عبد الرحمن. مدرسة البصرة النحوية. القاهرة: كلية دار العلوم، ١٩٦٨.

الشاعر، حسن موسى. اختلاف الرواية في شواهد سيويه الشعرية. عمان: دار البشير، ١٩٩٢.

ضيف، شوقي. المدارس النحوية، القاهرة: دار المعارف، ط٧، لا.ت.

عبد الباقي، فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. بيروت: دار الجيل (نسخة مصورة)، لا.ت.

عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي. ائتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة. بيروت: عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط١، ١٩٨٧.

العكبري، أبو البقاء. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين. تحقيق ودراسة عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦.

عميرة، خليل أحمد. آراء في الضمير العائد ولغة "أكلوني البراغيث". عمان: دار البشير، ط١، ١٩٨٩.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد. معاني القرآن. تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، القاهرة: ١٩٥٥-١٩٧٢.

كريستال، دافيد، التعريف بعلم اللغة. ترجمة الدكتور حلمي خليل. الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩.

الكنغراوي، أبو طلحة صدر الدين. الموفي في النحو الكوفي. شرح: محمد بهجة البيطار. دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٩٥٠.

المبرد، أبو العباس. المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. بيروت: عالم الكتب، لا.ت.

المخزومي، مهدي. الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه. بيروت دار الرائد العربي، ط٢، ١٩٨٦.

_____ . في النحو العربي: قواعد وتطبيق. بيروت: دار الرائد العربي، ط٢، ١٩٨٦.

_____ . في النحو العربي: نقد وتوجيه. بيروت: دار الرائد العربي، ط٢، ١٩٨٦.

_____ . مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو. بيروت: دار الرائد العربي، ط٣، ١٩٨٦.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. شرح أبيات سيبويه. تحقيق: زهير غازي زاهد، بيروت:
عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ١٩٨٦.

ياقوت، محمود سليمان. قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين. القاهرة: دار المعارف،
١٩٨٥.

ب- بالاجنبية:

- Baalbaki, Ramzi. "Reclassification in Arab Grammatical Theory", in JNES T4 no.1, 1995, pp.1-13.
- _____. "Some Aspects of Harmony and Hierarchy in SIBAWAH's Grammatical Analysis". in ZAL Volume 2, 1979, pp. 7-22.
- Bach, Emmon. An Introduction to Transformational Grammars. New York: Holt, Rinehart and Winston Inc., 1964.
- Bloomfield, Leonard, language, New York: Harcourt, Brace & World Inc., 1949.
- Carter, Michael G., "Elision", in : Proceedings of the Colloquium on Arabic Grammar, ed. by K. Dévényi and T. Iványi, Budapest, 1991, pp. 121-133.
- Chomsky, Noam. Aspects of the Theory of Syntax: Massachusetts: MIT press, 1965.
- _____. Language and Mind. enl. ed. New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1972.
- _____. Syntactic Structures. fifth printing, the Hague: 1965.
- Crystal, David. Linguistics. Middlesex, England: Penguin Books, 1977.
- Dinneen, Francis. An Introduction to General Linguistics. New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1967.
- Inglis, Rewey Belle et al. (eds.). Adventures in English Literature. New York: Harcourt, Brace & world Inc., 1952.
- Lyons, John (ed). New Horizons in Linguistics. Middlesex, England: Penguin Books, 1972.

_____. Noam Chomsky. New York: Viking Press Inc. , 1970.

Quirk, Randolph and Sidney Greenbaum, A University Grammar of English. London: Longman Group Limited, Tenth impression, 1980.

Smith, Neil and Deidre Wilson. Modern Linguistics. Middlesex: Penguin Books, 1979.

Sapir, Edward. Language. New York: Harcourt, Brace and World Inc., 1949.

de Saussure, Ferdinand. Course in General Linguistics. edited by Charles Bally and Albert Sechhayé, Trans. by Wade Baskin. New York: Mc Graw Hill Book Company, 1966.

Thomas, George. Lingnistic Purism. New York: Longman Inc., 1991.

Versteegh, Kees. " The Notion of 'Underlying Levels' in the Arabic Grammatical Tradition". in Historiographia Linguistica, Volume XXI, No.3, 1994.